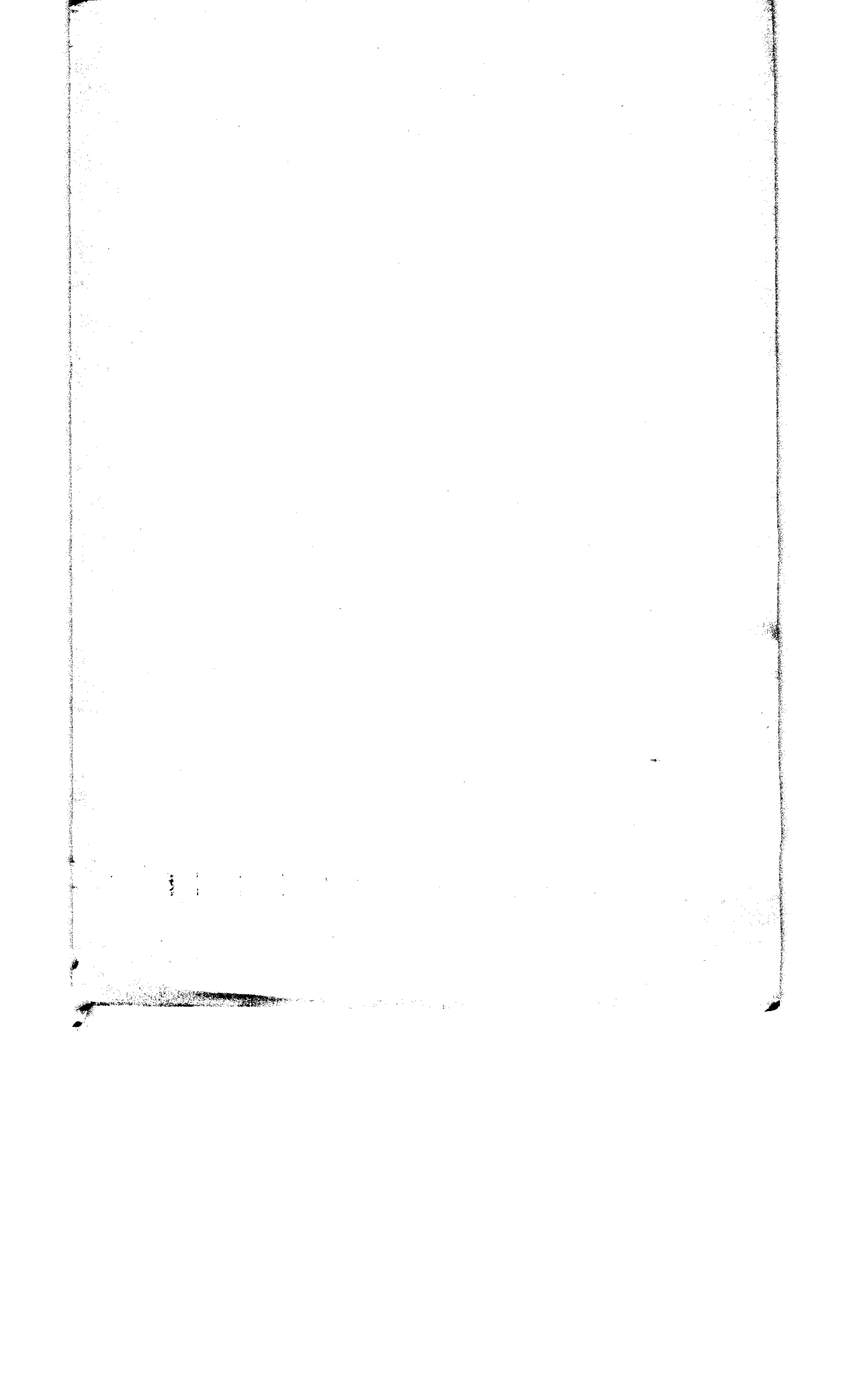
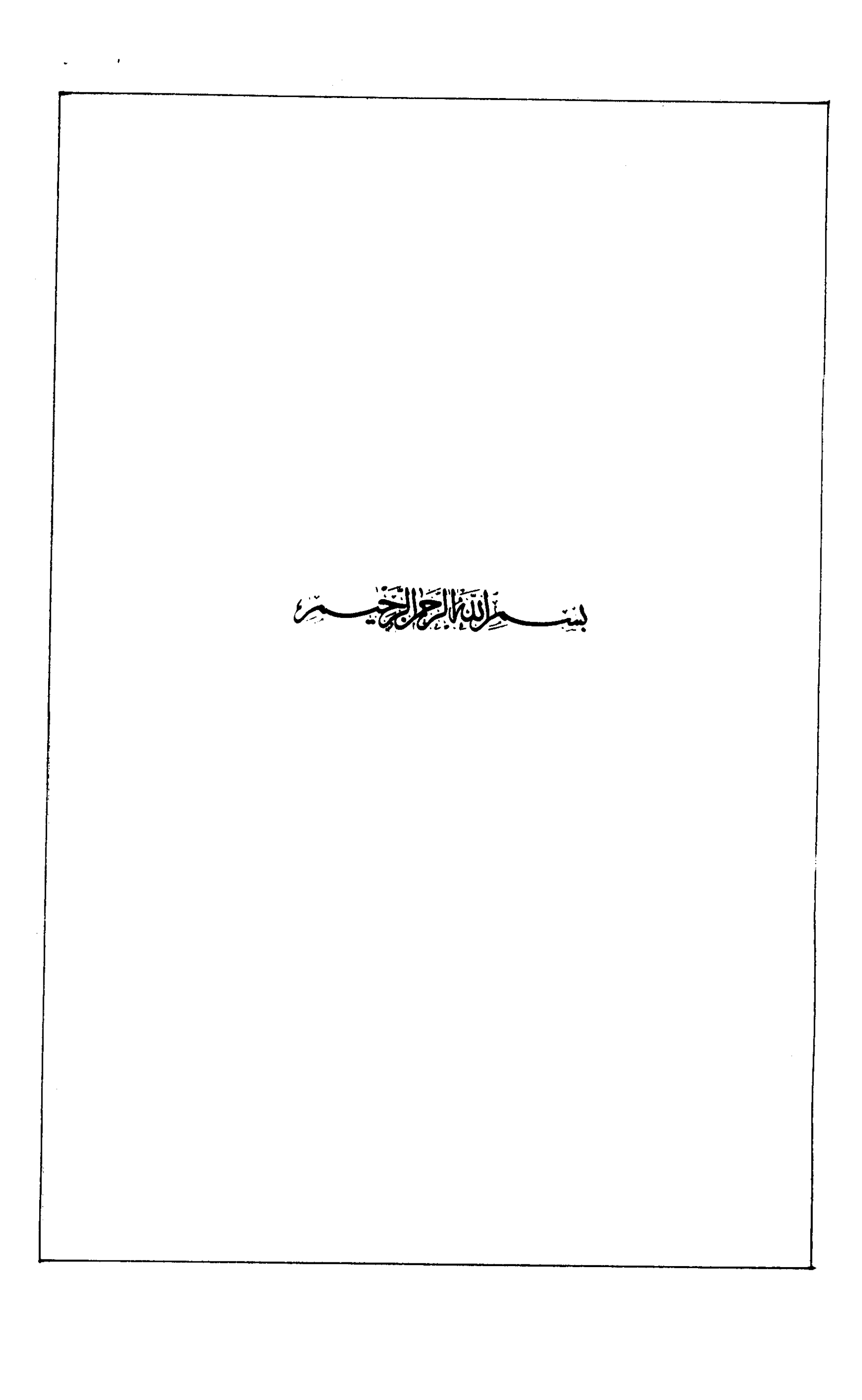
عندما يقترب الحب

زينب صادق




بسم الله الرحمن الرحيم

الاشـــــراف الفنى
محمـــد ســـليم

الغـــلاف والرسوم
هبـــة عنـــايت

عندما وجدنا الدفء

استهوتنى المغامرة ، التقينا فى منتصف الليل · فى مقهى فندق كبير · رجلان وحدهما ·· ثالث معه صاحبته · هـــو وأنا · تناولنا طعامنا ، سأل الرجل صاحبته ·· ماذا قالت لهم فى البيت ؟ ·

قالت ضاحكة :

ـ قلت سأمضى الليل ونهار الغد مع صديقة مريضة ! ·

سألنى صاحبى : وأنت ماذا قلت ؟

ـ قلت اننى معك سنذهب الى رحلة صيد ·

قال أحد الرجلين : هذا الصدق فى القول يصـــنعه الخاتم الذهبى فى أصبعك ·



قال الثاني : الخاتم لايصنع الصدق ، فهي الشخصية أولا ٠

صرخت الاخرى في وجه الرجل معارضة : قال صاحبي مجاملا لها : انني مبالغة والاهل لايوافقون اذا كان الخاتم في اليد اليمنى ٠ ولابد انني قد قلت شيئا آخر لهم ٠ نظـرت اليه ٠ هو يعرف انني لا أكذب ٠ ودائما يجامل الاخرى ٠ هذه ليست أول حادثة ٠ لم اتحدث مدافعـة ٠٠ كنت لا أريد ان أفسد المغامرة ٠

في الساعة الواحدة صباحا ركبنا سيارتين ٠٠ الرجـلان في سيارة أحدهما ٠ ونحـن الاربعـة في سيارة الثالث ٠ صاحبته بجانبه ٠٠ في صمت السـاعات الاخيرة من الليل

شعرت بخوف . اقتربت منه لاضع رأسى على كتفه . تركنى أفعل ماشئت . كدت أسأله ان يحيطنى بذراعه . نظرته كانت بعيدة . فابتعدت صامتة .

سألنا رجال الحدود وقد ارتابوا فى قافلتنا : أين نحن ذاهبون ؟ . قال أحد الرجلين فى السيارة الاولى . اننا ذاهبون للصيد . وكاد الرجال يسحبون منهم بنادقهم ، وفى ضوء مصباح ضئيل قرءوا تراخيصها . سألونا عن بطاقاتنا واقتربوا من وجوهنا ليروا اذا كانت الصور مع الاصل متشابهة . قال احدهم وهو ينظر الى « حسبتك ولد » .

ضحكت الاخرى فى المقعد الامامى وهى تميل بشعرها الطويل الى الوراء . مزقت ضحكتها صمت الليل . وملل رجال الحدود . ونفسيتى .

نظر اليها صاحبها مؤنبا .. وكانت الابتسامة على وجه صاحبى . وسارت قافلتنا . وسط ظلام وغموض الليل ، أو غموض المغامرة ، وليقطع صمت الطريق . علق صاحبى ساخرا على كلمة رجل الحدود انه حسبنى ولدا .

وقال : حقيقة تقصين شعرك أكثر من اللازم مع ان الاولاد اصبحوا يطيلونه .. وترتدين بلوفرات وبنطلونات مثلهم . والذى زاد هذا المساء وجهك الخالى من الماكياج ، لولا اسمك فى البطاقة وتاء التأنيث فى ديانتك ومهنتك لظل الرجل عند ظنه انك ولد .

ضحكت الاخرى مرة ثانية .. وشعرت بوحدة تلفنى . عقدت ذراعى حول صدرى احتضن نفسى . سألنى صاحبى : لماذا انت عابسة ؟ .

واذا سألك أحد يخبط على رأسك دائما .. لماذا لاتبتسم فماذا تقول له ؟ .

وظهر صوت صاحبه من خلف عجلة القيادة قائلا : اذا كانت ولد فهى أجمل ولد وقعت عليه عينى .

شعرت ان صوته يربت على . نظرت الى المرآة فوقه . والتقت نظراتنا خلالها ، فى هذا الضوء الضعيف من نصف القمر . أنا لاشكره . وهو ليفصح عن شىء كان لابد ان افهمه من زمن . وضحك صاحبى .

فى يوم ما قلت : هذا من بحثت عنه دائما ٠٠ يعجب بى وبعملى ٠ وقلت له اننى اخبرت أهلى بحبنا ٠ قال لتحرجينى ٠ وتقدم خاطبا ٠ بدأت معاملته تختلف ويؤجل ٠٠ الى أن نعرف أكثر بعضنا بعضا ٠ وربما كل منا عرف انه لايصلح للاخر ٠ لكننا نؤجل اعلان قرارنا ٠

وقفت السيارة الاولى أمام « شاليه » صغير بجانب البحيرة، أحد الرجلين يملكه ٠٠ فتحه ٠ اشعل شمعتين ٠ دخلنا خلفه، سأل صاحبى عن المشروب الذى يدفىء ٠٠ وأحضر صاحب الشاليه زجاجة « معتقة » ، سألت : هل يوجد شاى ؟ ٠

ضحكوا ٠ وظهر نفس الصوت مرة أخرى مدافعا ٠ قال : أنا أيضا أريد شايا ٠

وقال لنا صاحب المكان ان ناخذ شمعه ونبحث فى المطبخ عن طلباتنا ٠ جريت تجاه المطبخ ٠ ولحقنى ٠

قلت : لماذا لا تشاركهم ؟ ٠

قال : أريد ان اشاركك ٠

على ضوء الشمعة التقت نظرتنا ٠ فى فترات متفرقة من السنة الماضية التقينا ٠ هو مع صاحبته ٠ وأنا مع صاحبى ٠ تبادلت معه احاديث جادة عن السياسة والعمل ٠ وكان صاحبى وصاحبته يضجان من احاديثنا ٠ وفى ملهى ليلى ذهبا الى حلقة الرقص واختفيا ٠ ولاحظنا التصاق رأسيهما ٠ يومها لم أغضب منه ، وربما لم أغر ٠ لانى كنت أيضا مستمتعه بحديث الآخر ٠ يومها قلت فى نفسى ٠ التقسيمة خطأ ٠ تذكرت هذه الحادثة وأنا أقوم بعمل الشاى وهو يغسل كوبين ٠ خرجنا اليهم باكواب الشاى ٠ وكانت صاحبته تطرقع كاسها مع كأس صاحبى ٠

التفت الى وقال : ساصطاد مائة بطة ٠ اقدمها كلها مهرا لك ٠

الست تحبين البط ؟ ٠ سيكون مهرك شيئا فريدا وسيفرح والدك ٠

امسكت كوب الشاى بكلتا يدى ٠ نظرت اليه صامتة ٠ أتعبتنى سخريته الدائمة ٠ من الاشياء ٠ والاشخاص وأنا ٠

قال : لماذا لاتفرحين بمهرك ٠ الذى يحب يقبل من حبيبه

أى شيء يقدمه . أم لم تعودى تحبينني .

لم أرد . واذا سألك أحد يحبط مشاعرك وعواطفك دائما لماذا لم تعد تحبنى . فماذا تقول له ؟

قال صاحب الشاليه وهو يحمل بندقيته :

ـ الساعة تقترب من الرابعة . لنبدأ الان قبل ان تصحو الطيور وتتفرق .

اخذوا بنادقهم . وسرت فى قافلتهم . وفى ضوء نصف القمر . رأيت الطيور هادئة . صامتة . جميلة . نائمة على سطح البحيرة وشاطئها القريب . تقدم صاحبى ليبدأ الصيد . وانطلقت بندقية . اصابت البطة الهادئة . ارتفعت صارخة عن الارض ووقعت . قامت بقية الطيور فزعة . بأصواتها . تطير فى كل اتجاه . خيل الى اننى اسمع انينا . وارتفع صوت بنادق الصيادين . وصوت الانين . هذه الطيور جاءت مهاجرة من بلاد بعيدة باردة . جاءت تبحث عن الدفء . وعندما وجدته خدعت به فقتلها . رأيت نفسى فى البطة المصابة . وكان صوت انينها صوتى أنا . بعد رحلتى الباحثة فى الحياة عن الدفء !

ارتعدت . وجريت صارخة امامهم .

« قتلة . وحوش . اتركوا الطيور فى حالها » وصرخ صاحبى : ابتعدى والا اصابتك طلقاتنا .

صرخت : قتلة . لتصبنى .

قال : كيف تصورت رحلة الصيد . اننا سنركب مراكب مع الطيور .

ـ قاتل . لم أعد احتمل سخريتك .

ـ لا تعطلينا عن الهجوم .

صرخت : أبطال اعطلكم ! كنت اتمنى أن تكون الطيور مثل طيور فيلم هتشكوك . وتهاجمكم بدلا من أن تهاجموها .

وارتفعت أصوات الطيور . وجريت صارخة .. قتلة .. ساعود وحدى .

وكان الوجوم قد خيم عليهم من المفاجأة .

قال : اتركوها ستعود بعد ان تهدأ ثورة غضبها . أنا اعرفها جيدا .

وقفت متلفتة صارخة ـ انت لم تعرفني أبدا · كل ماتعرفه عني ان شكلي مثل الولد ·
قال : الا تريدين أن احضر مهرك ·
ـ لا اريد شيئا منك ·

جريت في الطريق وأصوات بنادقهم كأنها تطاردني أنا · وعندما وصلت الى الطريق المعبد · توقفت · كيف سأعود · سرت لا ألوى على شيء · مشاعر كثيرة تلفني · سمعت صوت سيارة يقترب · توقفت · سيارة صاحب الصوت الذى دافع عني · جريت · نزل من سيارته · جرى خلفي · وكانت قوتي قد ضعفت فلحقني · امسكني من كتفي · قال : سأعود معك ·
ـ عد اليهم · أنت قاتل مثلهم · ألم تحضر هنا للصيد ·
امسكني بقوة من كتفي ·· يهزني لافيق ·
قال : أنت أيضا حضرت للصيد · وتعرفين مقدما ماهو الصيد ·
التقت نظراتنا · في محاولة رؤية اعماقها ·
قال : كنت أشعر من صمتك الهائل انك يوما ستصرخين ·
وجدت رأسي على صدره باكية ·· احتضنني قبل شعري احاطني بذراعه · وسرنا الى سيارته ·
قلت : حقيقة ستعود ·· معي ·
ـ نعم سأعود معك ·
ـ و ···
شفتاه منعت شفتي من سؤالها · قاد سيارته في هدوء · وهو يمسح على شعري وعنقي · وامسك بيدي · هدأت ثورتي ودموعي وضوء الشمس بدأ ينتشر ·
ـ هل هي مجرد ثورة ثم تعودين اليه ·
هززت رأسي نافية ·
ـ ماذا ستقولين لاهلك ·
ـ لا شيء ·· لم ننسجم ·
ـ هل يمكن ان نلتقي ؟ ·
ـ و ···
شفتاه منعت شفتي من سؤالها ·

الحديقة ..

ذهبت الى مكان ارتاح عندما أراه . حديقة كبيرة حول بيت صغير .. أسميها الآن الحديقة . كانت من سنين وسـط حدائق كثيرة فى الحى الهادىء . الناس بنوا الحدائق بيوتـا ولم يبق سوى هذه ، من حين لآخر ادور حولها . تنعشنى رائحة الزرع ، يريحنى منظر الشجر الاخضر . واحة صغيرة وسط ازدحام الجدران . أهنىء أصحابها على مشاعرهم . لم تغريهم الاوراق المالية واحتفظوا بأوراق اشجارهم .

لاول مرة أجد فى الحديقة سـيدة عجوزا ، كانت خلف شجرة بجانب السور عندما لمحتها تراقبنى . كنت ارفـع رأسى الى الاشجار واخـذ نفسا عميقا . ابتسمت لملاحظتها .



خطوتان وسمعت صوتها · بسسست بس ، لم يكن أحد يسير سواى ، التفت اليها فأشارت الى أن أدور حول السور وأدخل من الباب · لم ارفض الدعوة · فهذه هى الواحة التى تروى عطشى · تمنيت كثــــيرا اذا كان ابى له هــــذا المكـــان · حلمت كثيرا أننى أعيش فيه · حسدت سكانه ، واقتربت من العجوز ، متجهمة الوجه صارمة القسمات · قالت :

ـ تسكنين قريبا ؟ ·

هززت رأسى · نعم ·

ـ أراك كثيرا تدورين حــــول الحـــديقة ، تنظرين اليهـــا باعجاب ·

– كانت هى أيضا تحبها ٠

– من

– ابنتى ٠٠ سيرى كما تشائين فيها ٠ تمتعى بالخضرة ٠ الجدران أصبحت متلاصقة ، لا أحد يهتم بالاشجار ٠

ربتت على ظهرى وهى تقول : ٠٠ « أنت طيبه » ٠ ابتسمت لكلماتها وقلت مازحة :

– صاحبى يقول اننى شريرة ٠٠

ربما اردت ان أجعلها تبتسم أو تضحك ٠ لكنها التفتت الى وقالت غاضبة :

– من يحب الاشجار لايمكن أن يكون شريرا ٠ لاتصدقيه ٠٠ لا تصــدقيهم ٠ لاتقعى فى الخطأ الذى وقعت فيـــه ابنتى ٠ حذرتها كثيرا لم تستمع الى ٠ صدقتهم ٠ والنتيجة انهـــا ذهبت بعيدا ٠

– أين ؟

اشارت بيدها الى السماء ٠٠ تمتمت بالاسف ٠ استهوتنى قصة المرأتين أكثر من وجودى فى المكان ٠ قرأت الفضـــول فى عينى ٠

قالت :

– هل تشربين شايا ؟ ٠

قالتها وسارت الى البيت ٠ انقدت وراءها ٠ عندما فتحت الباب سرت قشعريرة فى جسدى من استقبال هواء رطب ٠ عفن ٠ كأنه بيت مهجور ، ألوانه قاتمة ، نوافذه مغلقـــة ٠ عندما أغلقت الباب خلفنا ذهبت صورة الحديقة ٠

قالت :

– هل سمعت عن واحدة فى عصرك هذا تموت من أجـــل رجل ٠

ـ لا أظن ٠

ـ مغفلة ٠ كانت تملك كل شيء ٠

ـ ربما ، ماعدا حب الرجل الذى أحبته ٠

ـ ضيعت حياتى من أجلها ٠ أعطيتها أنا الحب ٠ حذرتها من الرجال ٠ وتموت بسبب واحد منهم ! ٠

ـ لا أدرى ظروفها ٠٠

ـ أعطيتها كل شيء حتى لاتحتاج لرجل ٠ علمتها كيف تخنق العاطفة غافلتنى واحبت ٠ وانتهت ٠

ـ نهاية مؤلمة ٠٠

ـ قتلها ٠ قال لها انت عاجزة عن الحب وصدقته ٠

ـ كانت تحبه حقيقة ؟

ـ لم أرها تهتم بأحد مثله ٠ قال لها أنت منحلة وصدقته ٠

ـ وهل كانت ٠٠

ـ كانت تحب الرقص والحفلات والنزهات ٠ كان لها عدد كبير من الاصدقاء والصديقات ٠ لم تكن أبدا منحلة ٠ وعندما صدقته أصبحت تتصرف بانحلال لم يعجبنى ٠

فنجان الشاى الساخن فى يدى وسرت البرودة فى جسدى ٠ صدقت اننى شريرة تصرفت كثيرا مع أقرب الناس، مع كل الناس على أنى شريرة ٠ ليس لضعف شخصية ٠ احيانا لاتستطيع ان تكذب أحب الناس الى قلبك ٠ وأحيانا استمرار اتهام البرىء يجعله يتصرف كمجرم همس صديق فى أذنى ٠ لست أنت من اعرفها ما الذى يضايقك ٠ قلت شعور الشر فى نفسى ٠ سألنى ان اقول عن حادثة واحدة ٠ لم أجد شيئا محددا ٠ قال لابد ان أطهر نفسى من شعور يميتها ٠

قلت للمرأة – ربما لم تجد من يقول لها أنها ليست منحلة حقيقة وكلماته مجرد تبرير لهروبه ·

– علمتها ان تحب الحياة لا شخصا · علمتها ان تكون حرة لا منحلة · حكيت لها قصة عذابى كثيرا · فى البداية كانت تلهو وتعذبهم ·

لم أتصور يوما انها ستسمح لاحد أن يعذبها ·

« مس هافيشـــــام » بطلة رواية – « تشـــارلز ديكنز » المعروفة ·· هرب منها حبيبهـــا ليلة زفافها فتبنت فتـــاة ودربتها على كراهية الرجال والانتقام منهم · «مس هافيشام» كرهتها فى الرواية · وسرت قشعريرة فى جسدى وأنا اجدها أمامى فى الحقيقة ·

زاد اختناق الجو · جدران البيت مضيئة من الخارج ، قال الصـــديق لاتصـــدقى الكذبة · ملامحك تعكس الطيبة من نفسك · قلت ربما ملامحى فقط · قال مقاطعا · وهل عرفت داخل نفسه هو ! ·· وجدت حرجا ان أقول اننى ارتعبت يومـــــا ·

وقفت لانصرف ، جذبتنى من يدى لتفرجنى عـــلى حجرة الراحلة · الرعدة فى جسدى من جو الحجرة السرير مرتب بارد ، ينتظر أحدا لن يأتى صـــــورة الفتاة حلـــوة بجانب فراشها ، نظرة عينيها · مجنونة · شـــاردة ، ربما كانت مريضة بمرض عصبى · كيف تكون طبيعية وأمها هذه ! · ربما هى قتلتها وليس حبيبها ، وعلى الحائط نتيجة · ورقـــة صفراء قديمة بتاريخ يوم فى عام مضى عليه عشرون عـــاما · ربما فى ذلك الوقت لم يكن تفكير العقل يحمى القلب مـــن اخطائه · شعور الانقباض وشبح المنتحرة جعلانى أســـير مسرعة الى باب البيت · وأسرعت المرأة ورائى ·

قالت – سأعرض البيت والحديقة للبيع ·· اريد أن ابيعه لاحد يحب الاشجار ·

لايخلعها ليقيم جدرانا ٠ مارأيك ٠٠

- ٠٠٠٠٠٠٠

- ساعرض أقل ثمن من أجلك ٠

- ٠٠٠٠٠

عندما لاحظتك وأنت تنظرين للاشجار أعجبت بك ٠ الشجرة مســـتبادلك الحب اذا احببتها ٠ أما الرجـــل ٠ لاتقولى أبدا أحبك ٠

أجمل ما في الحياة

الجو صحو ٠ والطريق من المرتفع يظهر مسـاحات من الالوان ٠٠ أصفر الرمال والصـخور ٠٠ أخضر الاشـجار المورقة حديثا ٠٠ وأبيض قباب بيوت الاموات ٠٠ لون اليوم ٠٠ مع الوان الطبيعة ٠٠ تضفي على النفس سحرا خاصا ٠٠ وكانت يدي في يده ٠٠ بهذا الشعور الدافيء بالحياة ٠٠ وعلى أحـد جـدران بيوت الاموات مكتوب « وتمضي الحياة » ٠٠ لا ادري اذا كان هذا اعلانا لكتاب ٠٠ أم هو شـعار كتبه حراس بيوت الاموات ٠

قال ـ اليوم الحلو يمضي سريعا ٠٠

نظرت الى الاعلان ٠٠ هززت رأسي بشعور غامض ٠٠ نظر



حيث نظرت وابتسم ٠٠ ضغط على يدى ٠٠

قال ـ لاأريد ان تمضى الحياة بدونك ٠٠ أريد ان امسك يدك دائما كما أمسكها الآن ٠

ـ يقصدون شيئا آخر ب ٠٠٠ وتمضى الحياة ٠٠

ـ لايهمنى مايقصدون ٠٠ أريدك دائما بجانبى ٠٠

« دائما » كلمة نحاول ان نتلافاها فى الاحاديث ٠٠ ومع ذلك يستعملها بعض الناس ٠٠ اقتنعنا ان حركة الحياة فى التغير ٠٠ و « دائما » أصبحت من كلمات المجاملات ٠

قلت ـ فى الصيف ستمتلىء هذه الاشجار بالاوراق · هل سنأتى هنا فى الصيف · أم تكون أنت قد ذهبت · أم أكون أنا قد مت · أحيانا الانسان يفكر فى هذه الاشياء للوجود والعدم · للحياة والموت ·

قال ـ أريد ان أقبلك الآن ·

نظرت الى عينيه · بريقهما يضفى على الحياة · الشعور بالحياة · لمست وجهه · ارادة أن نلمس من نحب · ارادة تنبع من شعور جارف · أو لنتحقق من وجود هذا الانسان ·

قال ـ احيانا لا أستطيع ان أصدق · انك فى الوجود حقيقة · لاأستطيع ان أعبر تماما عن هذه المشاعر التى تغمرنى فى وجودك · فى لمستك · فى ضحكتك · فى تفاؤلك وحتى فى تشاؤمك وغضبك ·

ربما فهمت بعد سنين حكمة من قالوا : الاوقات المبهجة لاوقاتها · لنستمتع بها · أما الامل فلنجعل الغد يحمله · أو · لايحمله · ولانشغل أوقاتنا المبهجة به · أما الحلم فلنجعل الليل يصوره · أو · لايصوره ولانشغل يومنا به · ولنرى الواقع الذى أمامنا · لانغفل وجوده · والواقع الذى أمامى الآن · أنه يحيطنى بعينيه · بذراعيه · بشفتيه · بقبلته · هذه التى لها رائحة مميزة · آخذ نفسا عميقا لاخذ كل رائحتها · بأى شىء تذكرنى رائحتها وطراوتها · تذكرنى ·· تذكرنى ·· بالحياة ·

وفى هذا الوقت بين ذهاب اليوم وحضور الليل · حيث تصبح الاشياء باهته · غير واضحة المعالم · باهتة أيضا صورة الاعلان و « تمضى الحياة » ·· ارتفعت ضحكات شابة من سيارة عابرة · وقال عجوز كان سائرا : « الدوام لله » · ثم عاد الصمت للمكان ·

قال بصوت مرتفع كأنه يعلن للعالم كله « أحبك » ·

نظرت حولى فرحة مضطربة · لم يكن أحد فى المكان · سوى هؤلاء الذين لم نعد نراهم · هل يروننا الآن ! · هل

يبتسمون فى طرب مبارك · أم يضحكون فى سـخرية من الاعـلان ! ·

قالوا لنا يوما لايصح أن نقول مشـاعرنا · وأفهمونا أن كلمةالحب لاتقال · وقالوا لنا حكمة · المفروض فى الانسان الذى يريد ان يعيش ان يقول نصف الحقيقة · ويخفى نصف الشعور ·· ولم نعرف أبدا الحقيقة حتى نقول نصـفها ·· الحقيقة لها وجهان مختلفان · والشعور الواحد أصبح مزيجا من مشاعر مختلطة فلم ندر أى منهم نخفيـه · واحترنا بين الخطأ والصواب ·

كانوا مثاليون · ومفلسون · وعلمونا أن السـعادة لاتصنعها الأموال · وأنها تنبع من أعماق نفوسنا وأحيـانا تنبع من محبة صادقة بضفيها علينا بعض الناس وضـيعنا وقتا طويلا مع اعماق نفوسنا وبحثنا عن هذه المحبة الصادقة التى تنبـع فى بعض النـاس ونحـن نهبط داخـل نفوسنا ـ كانت ترتفع مطالب الحياة وكان اضطرارنا أن نخرج من أعماق نفوسنا · نخرج من مثالياتنا قليلا لنلحق بارتفاع مطالب الحياة · حتى نستطيع أن نعيشـها · وفضلنا أن نعطى المحبـة بدلا من انتظارها · بفكرة أنه عندما نضفى السـعادة بمحبتنا ترد الينا · لكن كل شىء يحتاج لوقت · نحتاج لوقت طويل حتى نحصل على ما نريده من الحيـاة · وحتى يؤمن من نعطيه محبتنا بصدقها فيردهـا لنا · وحتى نجد السعادة فى توافقنا مع الاشياء مشـاوير طويلة الى أن نصل الى أهدافنا · وعندما يأتى الوقت الذى نبحث فيه عن راحة لاجسادنا المنهكة ونفوسنا المتعبة · نفكر بتلك المشاوير الطويلة · ونشتاق لها · ونكتشف أن الوصول الى الهدف ليس هو أجمل ما فى الحياة ·

قلت ـ هل تذكر لعبة كنا نلعبها فى الملاهى ونحن صـغار · مجموعة من خيوط مربوطة بمجموعة من الهدايا · نراهـا أمامنا · ندفع التذكرة · ونأمل أن نشد الخيط المعلق فى نهاية الهدية التى نرغبها دون تفكير كنا نشـد الخيط ·

كانت نظراتنا على ما نريد ونشد أى خيـــط دون تفكير أو دراسة أين تصل نهايته · وكان الخيط يجـذب أى شىء الا الشىء الذى أردناه ·

ابتسم · قال ـ اذكر هذه اللعبة · ما الذى ذكرك بهـــا الآن ·

ـ كل هدف له خيط نجذبه لنصل اليه ·

ـ كل شخصية لها خيط نجذبه لنلتقى بها ·

ـ لكن لابد أن نجذب الخيط الصحيح ·

ـ كيف نعرف !

ـ كل شىء يحتاج لوقت ·

ـ أظن أننا وجدنا الخيوط الصحيحة لشخصياتنا ·

ـ أظن أننا تعثرنا كثيرا الى أن التقينا ·

ابتسم · ونظرنا صامتين الى الوان أول الليل · عـلى ضـوء المصابيح المتناثرة اختلفت الالوان ولم يعد ظاهرا اعـــلان و « تمضي الحياة » ·· لكنى تذكرته · ومع هذه النسمة الباردة المنعشة المحملة برائحة براعم الازهار · استشعرت البرودة في جسدى · ضممت ذراعاى حولى ·· فضمنى لأخذ الدفء من صدره ·

سالته ـ ما هو أجمل شىء فى الحياة ·

قال ببساطة ـ الحياة ·

الذى يحبنى

دخل الرجل الى الحجرة المجاورة لحجرتنا ٠ رجل عادى ٠ مثل مئات يسيرون فى الطريق ٠ لكنه يحمل لقب ٠ رئيس قسم ٠٠ نظرنا اليه ٠ نسأله بنظراتنا ٠٠ هل لدينا عمـــل اليوم ؟ ٠ رد علينا بنظرة عادية ٠ مجرد اتجاه عينيه الينا ٠ وعرفنا أجابته اليوم أيضا ٠ لا ٠

قالت واحدة ـ لنغير اليوم نوع افطارنا ٠

قالت الثانية ـ نأكل جاتوه ٠

ضغطت الثالثة على الجرس جاء الرجل بفمه الكســـول قال ٠٠ نعم أعرف طلباتكم ٠



قالت الاولى ـ اليوم سنغير

قالت الثانية ـ جاتوه سنأكل ٠

قلت ـ وشاى لنعمل حفلة ٠

جاء الرجل بما طلبنا ٠ وضعه امامنا وقال : **بعض العاملين شاهدوا ما يحمل سألوه لماذا ٠ قال قسمنا يعمـــل حفلة ٠ بعدها لم ينقطع رنين التليفون ٠ يسألون ٠**

لماذا نعمل حفلة ٠ لم يسألنا أحد يوما لماذا لا نعمل شيئا ٠٠ وبعضهم جاء بنفسه ٠ وازدحمت الحجرة ٠

اقترب مني الوجه الطيب ٠٠ همس ـ لماذا لا تنتقل الى قسمنا فيمكنك ان تعمل شيئا ٠

قلت ـ أحببت هذا القسم ٠٠ الظـــروف فقط هى التى تجعله معطل ٠

قال : لا ندرى متى ستنتهى هذه الظروف ٠٠ نريدك فى قسمنا ٠٠ تعرفين عمله ٠٠ وسنعطيك اجرا اضافيا ٠

أعطيته قطعة جاتوه ٠

قال ـ فكرى ٠ غدا سأنتظر اجابتك ٠

اختفت قطع الجاتوه ٠ انفضت اكواب الشاى ٠ وخلت الحجرة ٠ قلنا ٠ حدث تغير اليوم ٠

●●●

فى الطريق قالت واحدة ـ الى أى اتجاه سنسير لننشط عضلات اجسادنا ٠

قلت ـ ساذهب لأصفف شعرى هذا المساء مدعـــوة الى حفلة حقيقية ٠

●●●

وقف الرجل خلفى ٠ سأصفف لك شعرك على الموضـــة الجديدة ٠ نظرت الى وجهه أمامى فى المرأة ٠٠ لا ٠٠

النساء فى الطريق كأنهن رأس واحدة ٠ لا أريد أن أكون جزءا من هذا الرأس المكرر ٠ تحت حرارة تجفيف الشعر ٠٠ ماذا سارتدى هذا المساء ٠ عقدى الجديد اللامع يضفى عـلى ردائى شيئا من الجدة ٠٠ هل ستكون هذه المرأة (البقة) هناك ٠

ابتسمت لتشبيهى ٠٠ من زمن ابحث لها عن تشـــبيه (المرأة البقة) انفرجت شفتاى المبتسمتان بضحكة ٠ سمينة من كثرة ما تشربه من دماء غريبة عيناها جاحظتان فى شهوة الجائع ٠ خاملتان فى كسل الشـــبعان ٠ فى فراشى بين

ثناياه تختفي تزعجني . تحت ياقة ســترة حبيبي تنكمش . تقلقني وأمام الدماء الجديدة تفامر بحياتها . أريد امسكهـا بورقة الفها حولها حتى لا تفلت .

القيها من النافذة . لا . في النهر . لا في المرحاضي واسيل عليها المياه .

ما هو ذنب العالم لتنتقم منه لقد خدعها الرجـل ومات . قالوا حادثة .. قالوا انتحار . لم يقل أحد انها ارتوت مـن دمائه الى أن نفذت ومات .

●●●

كثرت الاجساد في مكان الحفلة نفخت الافواه دخانا .. وكلمات تعبأ المكان . خانق المكان .

سمعت المحامي يرد على سؤال .

نعم اذا ثبت ان المرأة قتلت زوجهـا دفاعا عن النفس ستخرج براءة .

نظرت الى الوجوه .. كم من الموجودين يريد أن يقتـل دفاعا عن نفسه . أنا منهم . نعم . وسنأخذ براءة عنـدما يثبت هذا في دفاعنا .

همست لصاحبي أن نخرج الى الشرفه . اختنق . سبقتة اليها لحظات من التردد وجاء . وقف صامتا .

أريد أن اسمع منك كلمة حلوة . أن تلمسني لمسة حنان ان تقبلني . تضمني الى صدرك وتقول انني لست وحيـدة في المكان . أن تلاحظ تصفيف شعري وعقدي الجديد .. أن تقول انني مختلفة عن النساء .

عيناه تقولان .. لا . شفتاه تقولان لا . يداه ممسـكتان بحافة الشرفة ويرتكن بجسده على ذراعيه .

قلت ـ هل تمارس الحب مع امرأة أخرى .

ـ لاتلاحقيني بالاسئلة . اجعليني اشعر انني حـر . لن أمارس الحب مع اخرى عندما أشعر بالحرية .

ـ يعني انت .

قال لنذهب الى الاصدقاء واختفى من الشرفة . انفرجت شفتاي عن ضحكة . في سبيل الحرية . كم يناضل الرجال

سأذهب الى من يحبنى • سيفرح بقدومى • سيقول الكلمة الحلوة •

سيلمسنى لمسة الحنان • لن تقول حواسه لى • لا• سيضمنى سيحتوينى • آه • الذى أحبه • أم الذى يحبنى • تكامل تبادل العاطفة • نادر هذا الزمان • صوت داخل نفسى تجسد أمامى •

قال •

« لماذا لا تغيرى عملك مادام المكان الاخر رئيسه يفرح بك • لابد أن تذهبى الى العمل الذى يفرحون بك فيه • لا العمل الذى تفرحين انت به • وترتبطين بالرجل الذى يفرح بك • لا الذى تفرحين انت به • هذا اليأس الذى يلفك احيانا • هذه الحيوية التى تذهب عنك لانك تلهثين وراءشىء تريدينه انت • وربما هو •

خلال زجاج الشرفة رأيته • اذا نظرت فى وجه أى أحد ستعرف اذا كان محبوبا أم لا • هناك نوع من الجمال يضفى على الوجه المحبوب • أحيانا تغمرنى فرحة اننى استطعت أن اضفى على وجهه هذا الجمال • لكن اذا تحولت هذه المسحة من الجمال الى ثقة مغرور تتبدل الملامح ملامحه تتبدل • متأكد اننى موجودة دائما • فلا يبحث عنى • متأكد ان كلماتى له • فلا يبحث عنها • لماذا لا يضفى هذه المسحة من الجمال على وجهى •

قالوا من سوء الحظ الا يكون الانسان محبوبا • لكن من شقائه الا يحب !

مادمت لست شقية •• لماذا استكين لسوء حظى •

خلال زجاج الشرفة رأيته •• وسط الرجال يتحدث • يرتدون زيا واحدا • شكله لا يختلف عنهم مجرد رجل عادى • عندما نحب يزيل حبنا عن المحبوب صفته العادية • ربما اعجبتنى يوما تصرفاته الغريبة • الآن اتمنى ان تكون عادية • ان يأخذنى من وسطهم ونخرج • ويقول انه يفضل ان

يقضي الوقت معي وحدي · يقبلني · يضمني · يحتويني · فجأة وجدت (المرأة البقة) في الشرفة ومعها دماء جديدة · حركت لها حاجبي · اغتاظت ملامحها لكنها ابتسمت · تركت لهما الشرفة وذهبت اليه ·

همست ـ لنخرج من هنا ·

همس ـ ماذا جرى لك · الا تعرفينهم · وسيأتي الآن رؤسائي ·

نعم أعرف ان التقارب يحدث في هذه الحفلات · وتقرر فيها الترقيات لكني اريدك وحدك ·· لأنهمك معهم · بدأت حديثا ·· اشتركت فيه ثم حوله الى حديث أخر وابتعدوا اميالا عني · سرت مبتعدة عنهم · لحظات وجاء بجانبي ·

قال ـ انت متغيرة اليوم ·
قلت ـ تشغلني فكرة التغيير ·· عرض على أن اغير عملي ·· مارأيك ·

ـ هذه مشكلتك انت ·

أحيانا يكتشف الانسان بالهام غير منطقي · أو منطقي · حقيقة ·

جاء رؤساؤه · انهمك معهم ·· انسحبت من وسطهم · تسللت الى الخارج · سرت في الطريق · نسمات الليل تحملني · تنعشني اليس من حق الانسان أن يفرح · افتقدت هذا الشعور بالفرحة ·

بين بين

كانت فى الجو كثافة · ودرجة حرارة مرتفعة · خيل الى انني احمل هذا الجو على رأسي يضغط عليها بثقله · وكانت الارض عطشى ·· مشققة من شدة العطش · النبات كانـــه يفتح فمه للسماء · ينظر اليها ويبتهل · الجو جاف · او رطب · لم ادرك سوى انه كان ثقيلا على رأسي · وكانت نفسي عطشى · مشققة مثل الارض من شـــــدة العطش · مبتهلة للسماء مثل النباتات العطشى ·

سارت على هذه الارض قافلتنا الصغيرة · ثلاث فتيـــات · ثلاثة شبان · ومرشد لطريقنا · اعتذر عن عطل السـيـــارة عندما استقبلنا من موقف الاتوبيس العام · قال أن المسافة



قريبة · لكنها بعيدة فى هذا الجو · سرنا تحت الفروع النحيلة للشجر الجديد شريط رفيع من الظل المقطع ·

قال المرشد ـ فى مثل هذا الجو من سنين قالت لى امريكية انها تحلم ان تمارس الحب فى مكان شبه صحراوى وفى جو مثل جو اليوم · لأنها تشعر فى هذا الجو انه يحتضنها بسخونته وثقله ·· فاذا مارست الحب بشعورها ستكون اللذة مضاعفة ·

يحبون سرد حكايات ماضيهم فى العلاقات النسائية · شعور يعتريهم بالزهو · ساله احد زملائى الثلاثة ·· وهل حقق لها امنيتها ·

قال – طبعا لاحافظ على سمعتنا وضحك . كانت ضحكة مشققه مثل الارض العطشى . سألته لماذا لا يروون الارض .

قال – هذه الارض دائما عطشى .. نعمل التجـــارب من اجلها . قطعا سننجح يوما .

قال أحد زملائى الثلاثة – لنتذكر الشتاء ونتخيل السماء تمطر . التخيل يخفف وطاة الحر .

. فلاسفة وعلماء نفس !

قال آخر – فى العصر الذهبى للرجل كان عندما يسيرفى يوم حار تسير خلفه امرأة تحمل له جرة ماء .

قال المرشد – لم تعد هناك عصور ذهبية لأى شيء .

قال احد زملائى الثلاثة – هذا هو العصر الذهبى للقلق.

قلت فى نفسى . والاحلام التى لا تتحقق . منذ صباى وانا احلم بوجه حبيبى . وكم من الوجوه حلمت بهـــا . طرقت بابى وجلست على مقعدى المفضل . تمرغت على وسادتى . احتضنتها ونمت . منذ صـــــباى وانا احلم بالمكان الذى سيضمنى مع من احب . وكم من الاماكن رغبتهـــا نفسى . جابت احلامى طرقات مدينتى من شرقها الى غربها . تختار من البنايات مكانا تستكين فيه . يضمنى مع من احب . وفى الحقيقة الواقعة يتخذون وضعا معينا فى جلســـتهم وتصبح تعبيرات وجوههم غامضــــة . بشيء من الحزن والجدية .. ويقولون قررنا من زمن الا نرتبط .. وكـــل وجه له ظروف خاصـــة .

وصلنا الى منطقة البيوت وتاسف المرشد عن عطل السيارة . قال سنستريح عند ام احد الباحثين فى اصلاح الارض.. يعتبرونها اما للكل . وبعدها نخرج الى العمل الذى جئنا له . فى بيتها استقبلتنا بحيوية . قدمت لنا الشاى وهى تقـول انه يرطب الجسد من حرارة الجو . نظرت الى وجوهنـــا الستة . وأيدينا الاثنتى عشرة . بانت عليها حيرة . سألتنا .

– ازواج · وزوجات

قال أحد زملائى الثلاثه ضاحكا أننا مازلنا فى مقتبل العمر ·

سألتنا · اليس كل اثنين منا زوجين · تبادلنا النظرات وضحكنا ·

قال احد زملائى الثلاثة – اننا طول اليوم معا واحيـــانا يجعلنا عملنا نمكث فى بلد يومين · لا يوجد فرق بيننا فى المعاملة اعنى بين الرجل والمرأة ·

قالت المرأة – انتم شبان · وهن فتيات بينكم معـــرفة ومودة · لماذا لا ·

قالت احدى زميلتى الاثنتين – نحـــن مجموعة متفاهمة فى العمل واللعب لكن لا يوجد شعور معين بين كل اثنين ·

قال احد زملائى الثلاثة ضاحكا – يمكن ان نتزوج المجموعة مثل الهيبيز ونصنع قبيلة ·

نظرت اليه المرأة نظرة مندهشة تحمل شعورا مشمئزا وقالت انها لا تحب أراء شبان اليوم · وحكت لنا عن زوجهـا الراحل كيف كان يسعدها ويدللها · تحدثت عن نوع مـــن الرجال قرانا عنه فى بطولات القصص القديمة الرومانسية ·

قالت أحدى زميلتاى – تبالغين فى وصـــف الرجل لانه مات ·

قالت المرأة – يا ابنتى انا لا ابالغ ولم اذكر سوى نصف الحقيقة ·

ثم قالت بحسرة – الآن عندما اذهب الى المدينة لا اجـــد فرقا كبيرا بين الجنسين ·

قلت فى نفسى · هذا زمن ال · بين · بين · العـــالم يهتم بازالة الفوارق بين الجنسين فقط فى المظهر · فمـــا معنى أن يقول الرجل للمرأة أنت لست امرأة · ومامعنى أن تقول المرأة للرجل انت لست رجلا !!

ذهبنا ـ الفتيات الثلاث ـ مع المرأة الى حجرتها لنصفف شعرنا · اغلقت الباب وقالت لنا جادة ان عملنا المجهد مهما كان يعجبنا فهو ياكل عمرنا وايامنا · ولن نجد وقتاللتعرف على شبان لزواجنا · لتختار كل منا من يعجبها من زملائنا الثلاثة · فلن نجد فرصة أحسن من هذه التي نعيشها لنعرف الرجل عن قرب · تبادلنا النظرات وابتسمنا ·

جاء المرشد ليصحبنا في جولة عملنا · لكن لم اجد الرغبة في عمل شيء · ربما كنت اريد ان اجلس في مكان مغلق · مكيف الهواء · أمدد ساقي امامي واغمض عيني · واحدث نفسي حديثا طويلا ·· هل حقيقة نعرفهم عن قرب او يعرفوننا عن قرب · نعمل معا · نتقابل كل يوم · لسنا اصدقاء تماما · ولا نتبادل الاعجاب تماما · لم يعد اى شيء تماما · الاشياء أصبحت بين · بين · نظرت الى وجوه زملائي الثلاثة · لاختار وجها احلم به · ليطرق بابي · ويجلس على مقعدى المفضل · ويتمرغ على وسادتي · ربما تكون بيننا قصة حب · وتجد نفسي العطشى من يشاركها حديثا طويلا · ويبادلها شعورا حلوا · ثم ياتي يوم ويتخذ هذا الوضع المعين في جلسته وتصبح تعبيرات وجهه غامضة بشيء من الحزن والجدية · ويقول قررت من زمن الا ارتبط · ويحكي عن ظروفه الخاصة · هذه التي لم تظهر من قبل · ثم · لا نصبح صديقين تماما ولا حبيبين تماما ·· وربما لا زميلين تماما · هززت رأسي وابتسمت · لاحظت وجوم زميلتي · مهما كانت نظرتهما لزملائنا الثلاثة ستفكران في كلام المرأة كما فعلت · ماذا لو اختارتنا نفس الوجه اختاره ·

قال احد زملائي الثلاثة ـ ماذا حدث للفتيات ؟

قال آخر ـ تأثير الحرارة ·

التفت الينا المرشد وتأسف عن عطل السيارة ·

آه .. شيش كباب

كنت اعد فى رأسى الصورة التى ساكون عليها فى لقائنا . ماذا ارتدى . وكيف اصفف شعرى . وتمضى لحظاتنـــا حلوة . ثم ابتسم له وهو يودعنى . واركب سيارة اجرة . أشير له بيدى مبتسمة . فيرى صورتى قبل أن يرحل جميلة وتظل معلقة فى ذهنه جميلة . لكن حدث العكس تمـــاما . وامضينا لحظاتنا فى شجار .

قلت ـ حبيبى . مر ألف يوم على لقائنا . على حبنا . انا اعرفك منذ ألف يوم . ابتسم وقال : أمكنك عدها ؟

ـ عندما كنت صغيرة قرأت الف ليلة وتخيلت وقتهـــا انها ايام كثيرة . اليست اياما كثيرة ! . الآن لابد أن نصنع



شيئا . فبعد الالف لابد أن تفكر .
قال ـ تخنقنى الجدران .. وعملى .
قاطعته ـ نعم اعرف مخاطر عملك .. والجدران عنـــدما تضم حبا لا تخنق .
قال ـ عندما سياتى الوقت ..

وبدأت المشاجرة .. أمضينا لحظات لقائنا فى شـجار . أصبح ضغط الافكار على رأسى يتعبنى . وأصبحت الصورة التى اعدها تنفذ عكس ما ارغب .
فى بداية الالف يوم ، كانت ايام الوقت المنظم واليـــوم الملىء بالعمل . وفى نهاية الاسبوع كان ياتى حبيبى .. آه

شيش كباب ·· الاغنية قديمة ·· النغمة قديمة لكن يحبها حبيبى · اللحن فى علبة هدية عيد ميلاد أضع فيها مجوهراتى الغير حقيقية عندما افتحها تأتينى النغمة تحيي الذكريات · ارتدى مجوهراتى كثيرا · افتح العلبة كثيرا · آه ·· شـيش كباب ·

من كل بلد فى العالم تذكار · صورة · تمثال يحمله الى بعد كل رحلة · حجرتى الصغيرة يزينها العالم كله ··ماعدا الشيء الحقيقى ·· حبيبى ·

فى تلك الايام المنظمة البعيدة · عندما كان يأتى فى نهاية الاسبوع يحمل احلامه فى رأسه · كنت احلق معه فى السماء · أحلم بالعالم كله · قلت لن أعمل بدراستى · ساعمل معك مضيفة · قال المضيفة الجوية ممنوع لها الارتباط فأى شيء تفضلينه · فضلت الارض · لكن لم اصل للثبات عليها · ولم ابق محلقة معه فى السماء ·

عندما أياس · اسير كثيرا · احذيتى الباليـة كثيرة · قدماى متعبة دائما · وعندما يأتى الوقت · هذا الوقت الذى يحدثنى عنه ·· ستكون احلامى قد خمدت · وفرحتى قـد هبطت ورغباتى قد بردت · لاننى تشوقت من مدة · وحملت من زمن ، وتحدثت كثيرا · كثيرا حتى اصبحت أجد سخافة فى سماع صوتى بحديث مكرر · آه ·· شيش كباب ·

قالت سيدة عجوز · الحياة صراع دائم · لااحد يقـدم لاحد ما يريده قطعة سكر · هل عندما نحب نسمى هـذا صراعا · أننا نسمى طريق عملنا « صراع دائم » لنصـل الى مانريده · نسيت ما أريده من عملى · فى دائرة انتظار حبيبى · تذكرت هذا عندما نظرت الى زميلتى بنظرة حقـد وضحكة مؤامرة وقالت :

« ايه يا جميلة » · هل مازالت معلقة بين السماء والارض · ماذا فعلت مع حبيبك · فجاة تذكرت هذا الصراع الذى نسيته · لقد أخذت المكان الذى كان لابد أن يكون مكانى · كانت مفاجاة للجميع ما وصلت اليه زميلتنا · وبدأت مناقشة بيننا تحولت الى نوع من النميمة · مقاييس الاشياء فى زماننا

اصبحت عجيبة · الصوت المرتفع هو الذى يسمع مهما كان تخريفا ما يقوله · الناس أصبحت مثل السيارات فى طرق عاصمتنا · يسيرون وأبواقهم تدوى ·

وبدأت الثورة تزحف من رأسى الى قلبى الى جسدى · الآن لا يمكن فصل الاشياء عن بعضها · الحب · العمل والحياة العامة · كلها مرتبطة · الاقوى هو الذى يؤثر على الباقين أو يتغلب · وثرت على الاقوى وتشاجرت مع حبيبى ·

وقلت له بحدة · مللت الانتظار المتوتر والسكينة المفتعلة ·

عندما أقلق · أغسل ملابسى وأنظم دولابى · ملابسى دائما نظيفة ودولابى منظم ملابسى تحمل الماركات العالمية · يحضرها لى كنوع من المهدىء · لكن المهدىء اذا زاد الانسان فى تعاطيه ينقلب الى ضده ·

يجب أن يرى اللحم فى السيخ يتقلب على النار ويشم رائحته · طعامه المفضل أصبح يتعبنى فاكتفى بالفرجة عليه وهو يأكل · قلت له يوما · أحيانا اشعر اننى مثل هذا اللحم فى السيخ يتقلب على النار · فقال ضاحكا · عندما يأتيك هذا الشعور اخبرينى حتى ألتهمك ·· آه ·· شيش كباب ·

لم اغضبه يوما · بفكرة ان الساعات القليلة التى يمضيها معى لابد أن تكون هادئة · جميلة · لم يغضبنى يوما بفكرة أن الساعات القلية التى يمضيها على الارض لابد أن تكون ساعات بهجة · كان فى نفس كل منا نوع من الخوف أن اللقاء ربما لن يتكرر · وعندما بدأت أفكر تفكيرا واقعيا · بدأت ثورتى على انتظاره ·

ألف · كلمة ننطقها بسهولة ألف · تحمل ارقاما كثيرة · كل رقم يحمل ذكرى يوم · وان كان لقاؤنا ليس كل يوم ·
يبدو أن السيدة العجوز على حق وان الحياة فى كل وجهاتها صراع دائم · لكن · عندما يحصل الانسان على ما يريده ، هل تنسيه الفرحة تعبه · أم ينسيه التعب فرحته ؟

هل نحتذر البطلة

دخلت الى محل لشرب القهوة فنجان كبير من القهوة السوداء يدفئنى وينعشنى · لماذا اصروا على تقديم المسرحية فى هذه المدينة الآن ·

خلف البار المنحنى يقف الرجل الذى يصنع القهوة · نظرت اليه سارحة · ابتسم وهو يضع البن فى الآلة ·

قال : أمس رأيتك فى المسرحية ·

كدت أقول له وأنا أيضا رأيتك عجيب هذا التشابه بين الوجوه نفس الوجه الطويل الابيض · الشعر الاشقر · الاختلاف فى لون العينين · ذات صيف بعيد التقينا فى هذه المدينة التقينا · استمرت قصة الحب والمراسلة سنة واحدة



جرينا على شواطئها ، سهرنا فى طرقاتها لم نكن نملك مانسهر به فى محلاتها • ركبنا عربة الخيل وتعبت من اهتزازاتها • قلت لعينيه المحبة • لو كانت هذه سيارة تجرى بنا لا عربة تتلكع ؟! • وكان مغرمـا بقراءة كتب علم النفس فقـال اننى طموحة جدا • اريد ان أصل الى هدفى بسرعة •

وضع الرجل فنجان القهوة أمامى •

قال : أفضل المسرح عن السينما احضر كل المسرحيات التى تأتى بلدنا •• ابتسمت •

قال : زوجتى لاتحب المسرح •

مســـح الرخام أمامى وذهب ليلبى طلبا • عجيب هـــذا

التشابه بين الوجوه . كنت فى اخر سنة من دراستى المسرحية وفى نفس الوقت ادرس فى الجامعة لكنى كنت احلم بالفن . بالنجاح ، بالشهرة . أحلم بحياة مريحة . رغدة .

أحلم بسيارة تنقلنى بسرعة . أحلم بوداع المواصلات العامة . تضيع فى زحامها أى مشاعر فنية أو عاطفية . وحدثنى عن بيته الذى كان من الحجر الابيض فى مكان بعيد على أحد شواطىء المدينة المنعزلة . حدثنى عن الاتوبيس الذى يركبه الى مكان عمله والمشوار الطويل اليومى . ولما سألته لماذا السكن البعيد . قال الهدوء ورخص الاجرة . ولما سألته عن الشتاء . قال : انه اعتاد برودته .

ترك الرجل الآلة . سألنى اذا كنت اريد فنجانا آخر . هززت رأسى موافقة ..

قال : الجو بارد هذه الايام . كم يوما ستستمر المسرحية ؟
ـ اليوم آخرها .

البحر يعطى للمدينة رائحة خاصة تخترق النوافذ المغلقة .

تتسلل من الباب عندما يفتح . تذكرنى باخر يوم التقينا . فى مقهى قديم يطل على البحر . سألنى عن المستقبل وهل سأمثل حقا . قلت اننى أمثل ظهرت فى ادوار ثانوية وسأصل يوما الى دور البطلة . أمثل فى فريق التمثيل بالكلية . قال بعدم اهتمام لحماستى الافضل ان اعمل بدراستى الجامعية وا نابتعد عن وعورة حياة المسرح ، حاولت ان اشرح له اننى لا أجد نفسى فى عمل آخر . لم يفهم . وكانت موسيقى الكمان بلحن قديم يليق بالمكان العتيق . يليق بأفكاره وشعرت ان هناك حاجزا بينى وبينه سألنى باخلاص ان نرتبط . تألمت لانى لم أفرح . وبجوار باب المقهى رأى بائع الياسمين نظرة وداع فى عينه وعينى . اقترب منه واعطاه عقدا . بحث فى جيبه وأسرعت بدفع ثمنه .

الآن رائحة الياسمين تسبب لى حساسية عندما اشمهـــا اعطس واعطس · هل هذه الحساسية لها علاقـــة باخر يوم قابلته ·

كانت أول صدمة أواجهها · الاختيار الصـــعب بين الحب والعمل الفنى · وبكلمات رجاء أن افكر فى الحياة معه بعيـــدا عن المسرح ، ودعنى وعدت الى مدينتى وأنا لا أدرى هل أحبه حقا ؟ ·· احيانا كنت احلم بحياتى معه وأزوق البيت الحجرى الابيض وأحيانا كثيرة كنت ارفضه وأتالم ·
وضع الرجل فنجان القهوة السوداء أمامى ·

قال : كنت أتمنى ان أمثل · ابتسمت · أمسكت الفنجان بكلتا يدى ليدفئنى ·
قال : جربت · ولم اصلح ·

ناداه زبون جديد وذهب ليلبى طلبه ·

بدأنا نتراسل بالحب · والكلمات الحلوة · وعندما كتبت له اننى سأقوم ببطولة مسرحية فى مسابقة التمثيل فى الجامعـــة وأود ان يحضر ليرانى · ارسل لى برقية ·· « ارجو ان تعتذر البطلة » · ثم ارسل خطابا معتذرا وكلمات حلوة ، وكلمات حب واستمرت مراسلاتنا الى أن كان يوم ، وأنا فى اتوبيس مزدحم صعد رجل يشبهه ويشبه الرجل الذى يصنع القوة عجيب هذا التشابه بين الوجوه · كان يحمل طفلا وأمامـــه امرأة رثة الثياب تحمل طفلا ثانيا · وآخر تحمله فى احشائها ·· رأيتـــه فى ذلك الرجـــل ورأيت نفسى فى تلك المرأة · ابتعدت افكـــارى وعواطفى عنه فجأة · نافرة · تعبت طول سنين حياتى · وبدأت أولى خطواتى فى طريق احببته بكـــل شهوة النجاح واحلام المستقبل · فهل اترك كل شىء لاكون مثل تلك المرأة المنهكة ؟ · لم استطع ان اشرح له شـــيئا لم اقابله عندما جاء يسأل عنى · وارسل يقول انه لن يعارض عملى الفنى بعد ارتباطنا · لكنى كنت قد رفضته · ربمـــا تضحكنى سذاجة افكـــارى الآن · لكن هكـــذا حدثت ·· وقف الرجل أمامى ·
قال : كنت اتحدث عن مسرحيتك مع الرجل الذى يشرب

القهـــوة ٠٠ قـــال انه معجب بتمثيلك ٠ قال ان مسرحيتك السابقة كانت أقوى ٠ مارأيك انت ؟
ـ احب عملي الاخير دائما ٠

تركت النقود للرجل ٠ خرجت ٠٠ هاهي السيارة التي حلمت بها تنتظرني ٠ انطلقت بها ٠ لايمكن ان تتحقق كـــل احلامنا ٠ لايمكن أن نجد النجاح في الحب العمل والحيـــاة عامة ٠ نادرا مايحدث هذا ٠ لاشكر السماء انني قد حققت شيئا ٠ نزل المطر ٠٠ فتحت مساحات الزجاج ٠ المياه تغرقه وتمحيها المســـــاحات ٠ وتتكرر العملية ٠ تكررت خفقات الحب ٠ وعدم الفهم لطريق اخترته ٠٠ معاناة الفنان ٠ كـــل الذين يحيطون بي من فنانين والذين اقرأ عنهم ٠ معاناة الفنان في كل العصـــور ٠ من طاقة الفن في داخله ٠٠ ومن الذين لا يفهمونه ٠ اقرب الناس اليه لايفهمونه ٠ كم يعاني الفنان ؟ ويسأل السماء لماذا خلق فنانا ٠ لكنه يشعر بقربه منهـــا عندما يبدع في فنه ٠ وهذا الاخير ٠ هل احبه لاني احب عملي الاخـــير دائما ٠ عرفني وأنا في القمـــة ٠ احبني ، وأنا في القمة كما أنا لم يســـــألني أن أضحي بشيء من أجلـــه وفي مناقشة قريبة بيننا قال :

ـ اريدك ان تفهمي ان الانسان لايجد مايريده تماما ٠٠ والحب يتطور من الرومانسية المحلقة في الهواء الى الواقعيـــة المتعلقة بالارض ٠

قلت : الحب يتطور نعم ٠ لكنه يرتفع من الاشـــخاص الى المطلق اللا محدود ٠ لا يوجد عدم فهم وألم مع المطلق ٠ فبقدر ماتعطيه بقدر مايغدق في العطاء ٠

ـ تقصدين الفن ٠
ـ ربما ٠٠

قال : فنانة مجنونة ٠ لكني احبك ٠ أقول لك بواقعيتي انني استطيع الحياة بدونك ، لكني افضلها معك ٠

سرت في الطريق الذي به المسرح ٠ ظهرت صورته غـــير واضحة عنـــدما أغرقت مياه المطر الزجاج ٠ ظننت أنه مجرد

تخيل لانى كنت استعيد حديثنا · وضحت صورته عندما تحركت مساحات المطر ، وتوقفت · قفز بجانبى فى السيارة اخذ يدى بين يديه وسرى الدفء فى جسدى ·

قال : اخذت عنوانك من المسرح ·· لم اتوقع هذا البرد ·

ـ كدت اعتذر اليوم وأعود الى دفء بلدى ··

ـ وهل تعتذر البطلة ؟ ·

لم اسأله لماذا جاء وعطل عمله · وابتسمت منتشية لوجوده بجانبى ·

وجه لطيف وقت العشاء

التفوا حول المائدة . وجوههم متجهمة . امتلات الاطباق بالطعام . يأكلون بشراهة . يتحدثون بشراهة يكسبون بشراهة . وأحيانا يخسرون بشراهة ، دارت عيني بينهم نظرت الى الطبق أمامي لم أعد استطيع بلع الطعام .

متعلمون كلهم . معهم شهادات عالية . خرجوا الى العالم زاروا بلادا كثيرة . حضروا حفلات كبيرة يتحدثون لغات متعددة . وعندما يثورون فى العمل يقولون الفاظا نابية . حتى وان كانت تجلس معهم فتاة أو امرأة . وتقال كلمات تخدش حياء جسدها .

بثيابهم المهندمة . فى سياراتهم الفارهة . مناظرهم براقة



تحسد الفتيات والنساء زوجاتهم ٠ هؤلاء اللائى يجلسن « فوق سطح صفيح ساخن » ينتظرونهم ٠ يحلمن بقبلة حنونة ٠ أو ضمة جسد مصدرها الحب أو التعاطف وليس الواجب الذى يحددون له يوما معينا ٠ رفضت المتقدم منهم ٠ وأحاطتنى علامات استفهامهم ؟؟؟

كنت مبهورة بهم ٠ هؤلاء السادة الذين تنحنى الرؤوس لهم ٠ فى كل زمان لهم طريق ، ومع أى ظروف لهم طريقة ليصلوا بها ٠٠ ولما انتهت دراستى حققوا لى أمل العمل معهم، فرحت أولا ، وحسدنى زملائى على مكانتى ومرتبى ٠ ولما اقتربت منهم وبدأت اراهم بلا اقنعة ٠ ذهب انبهارى ٠ وذهبت أيضا شهيتى ٠

عندما يقابلون أغرابا يستفيدون منهم · تبتسم وجوههم · يرتدون اقنعة متقنة الابتسام · وعندما ينهون عملهم مع أحد بنفس الاقنعة ينهون العمل ·

« كيف تستطيعون هذه الابتســـامة كيف ســـتلتهمون طعامكم ، كيف ستنامون الليل بعد ان اصـــبتم شـــخصا بالضرر » ·

يحبون الكلمات المســـلية · فضـــحكو من كلماتى ضحكات عالية · وقال احدهم :

ـ هذا هو عملنا وطريقته ، ليست لدينا أجوبة للاسئلـة · هل تسألين طبيب أمراض النساء كيف يســتطيع أن يمارس الحب مع امرأة بعد العمل ! هل تسألين الجراح كيف يستطيع أن يأكل بعد أن يموت المريض بين يديه !

ـ ماذا ستفعلون بكســـب المـال وانتم كل يوم تخسرون شخصا يحبكم ·

قال أحد الشبان الذين يدربونهم على حياتهم ·

ـ القوى لا يخسر ·

نظرت اليه ساخرة · بأبتسامه ساخرة · دغدغت غضبه ، فقال ثائرا :

ـ لاتقولى لنا هذا المثل الذى قلته لى يوما · لاتحركى فينـا هذا الشيء الذى اخبرتنى به · هذا الشيء الصغير جدا الكامن فى نفوسنا ونحاول ان نقتله · أو نقتله ·

سألونى ماذا قلت له · ابتسموا ماهو هذا المثل · ؟

قال هو ـ ماذا لو كسبت العالم كله وخسرت نفسك ·

ضحكوا ضحكات عالية · هزت هواء المكان · ضـــحكات للتسلية · لكن الجدية بانت على وجه كبيرهم وقال :

ـ قراءاتها لاتناسب نوع العمل ·

يكرهون التخلف الفكرى · فيقرءون الجرائد واعلاناتها · والتايمز اللندنية وعنـــاوين كل الكتب · يومهم للعمل · سهراتهم للعمل · ونزهاتهم أيضا للعمل · وعندما يريحون

تفكيرهم يلعبون الشطرنج أو يحلون الكلمات المتقاطعـــــه ، وتظل وجوههم فى هذه التسليات المفكرة ٠ متجهمة ٠

●●●

اليوم ٠ فى احدى هذه النزهات العملية التقيت به ٠ ربما لفت نظرى أولا وجهه الهادىء وابتسامته ٠ وعندما بدءوا فى حديث العمل سألنى ان نطوف بحديقة المكان ٠

« مثل وردة رائحتهـــا حلوة ٠ ظهـرت بالخطأ فى حوض زهور ألوانها براقة فقط ٠٠ ماذا تفعلين مع هؤلاء الناس ؟ »

ـ هم أهلى ٠ وأقاربى ٠ أعمل معهم ٠٠ لكن بدأت اضـــجر من هذا العمل ٠

ـ لا يناسبك ؟ ٠

هززت رأسى ٠ نعم ٠

ـ أنا ايضـــا لايناســـبنى نوع عملهم ابى اغرانى كثيرا لاشترك معه ٠

ـ كان عندك بعد نظر ٠

ـ مرتبطة بأحد ٠٠ منهم ٠

ـ لا ٠٠ لم استطع ٠

وكأنى لم اتحدث منذ سنة ٠ تعجبت من انطلاق كلمـــاتى ومن الاستماع الى صوتى ٠ كأنى لم اتحـدث منذ ســـنة ٠ وداعبنى أمل جديد لنوع العمل المختلف الذى يعمله ٠ وربما رأى فى عينى مداعبـة هذا الامل فســألنى اذا كنت اريد ان أحققه ٠

هززت رأسى نعم ٠

ـ ماذا ستقولين لهم ؟ ٠

ـ أظن انهم سيرحبون ٠ انقدهم كثيرا ، لم يستطيعوا تغيير عقليتى ٠

●●●

اليوم ٠ من هذه الايام القليلة التى نشعر فيها انها كاملة ٠ محققة ٠ موفية لالتزامات حياتنا فى البهجة والامل ٠

ابتسمت وأنا أقول :

ـ واذا لم يناسبنى أيضا ٠٠ العمل ٠

ـ نظل نجرب الى أن نجد مايناسبنا ونتوافق معه ٠

تحاشيت النظر الى عينيه ٠

اليوم ٠ من هذه الايام القليلة التى نحفظ تاريخها ٠ ليس فقط لاننا احببناه لكن ٠ لانه قد يكون له تأثير قوى فى تاريخ حياتنا ٠

لم يلاحظ أحد اختفاءنا ٠ كانوا منهمكين فى تفاصيل العمل ٠ الذى لاحظ أحد الشبان ٠ نظر الى وقال بسخرية ونحن ملتفون حول المائدة ٠

ـ اليوم شهيتك مفتوحة ٠

قال كبيرهم ـ تغيير الجو له عمل ٠

والتفت بحركة غريزية الى الوجه المبتسم فى مقابلة وجهى، تجهم لحظة ثم ابتسم وقال ٠٠ التغيير له عمل ٠
ربما فهمت لماذا تجهم ٠ لكنى لم أفهم معنى ابتسامته ؟

أشياء لامعة

ليحكوا لنا .. ماذا فعلو ، هؤلاء الذين تركونا عـلى الطريق وقفزوا فى وثبات سريعة ليصلوا الىقمم عالية . احكوا لنا .. نحن أصحاب الخطوات الضيقة والنفس القصير .

اهتزت ببعضهم القمة . ولم تكن أقدامهم ثابتة . منهم من نزل السلم كله . ومن نزل سلمة واحدة . ومن نزل ثم صعد فى وثبة . الارتفاع والانخفاض . قانون حياتنا . من ســـقط شعر رأسه . من ملا الشيب شعره . من امتلاء جسده . مازال فى القمة متربعا ، من فقد وزنه . فقد القمة . ويقول أنه يقوم بعمل « ريجيم » .

يرتدون ملابس لامعة وأحـدث صيحة فى ربطة العنق ..



الالوان الزاهية · يتحدثون عن ذكريات الاسرة الواحدة التى كانت تضمنا فى عملنا · يتحدثون عن أيام الشباب والفقر والحب والعمل الشيق · ويشعلون السجاير الاجنبية بولاعات ذهبية «رونسون ديبون» · وتتدفق ذكرياتهم بحذر ·

اليوم وأنا ذاهبة الى عملى تذكرت اننى أقوم بهذا المشوور بنفس المواصلات وأسير على نفس الرصيف منذ عشر سنوات· كنت أريد أشياء لا أستطيع أحضارها · ومواردى أقل من رغبتى فى العطاء كنت فى ضيق لا أدرى من أين أزيله · اليوم وأنا ذاهبة الى نفس العمل بنفس المواصلات كانت بى نفس الاحاسيس التى كانت منذ عشر سنوات · شىء واحد تغير ·

انني منذ عشر سنوات كنت خفيفة وأنا أحمـل هذا الضيق بأمل كبير انه في الغد سيضيع • أما اليوم فكنت ثقيلة • مثقـلة •

سألني أحدهم ـ ماذا تعلمت من الايام ؟

ـ ألا أنتظر حلولها • فهي تمر وتسرق الوقت وتغرينا فقط بحلولهـا •

هز رأسه موافقا • وتتدفق الذكريات

يتحدثون عن البناء القديم الذي كان مرفوعا صـلبا بالحب والترابط والعمل • وانه كان مأواهم • يمضـون فيه الايام والليالي • هاربين من بيوتهم المكتظة • أو الغير مريحة أو الغير موجودة • وكم كان جميلا أجمل من حجراتهم الكبيرة المكيفة وبيوتهم في الاحياء الراقية •

وقف أمامي يتحدث • يضحك • يقـول كلمات وتعليقات كان دائما يقولها • لم تتغير طريقتـه • لم تتطـور كلماته • من لم يعش في عصره لايدرك معنى مايقول • وقف أمامي ينظر الى • لم أشعر بأي شعور داخلي • لا فرحـة اني أراه بعـد سنين • ولا كراهية لانه ابتعـد عني وكان ظالما • ولا مجـرد سرور بوجوده • لم أشعر بأن شعورا داخليا يهزني • عيناه تلمعان بنظرة متسائلة ألم يسـمع اجابة واحـدة على نظـرة تساؤله • شاربه • مازال تحت أنفه • فوق شفتيه • شاربه سألته يوما أن يحلقه • قلت له يضـايقني في القبلة • قال انني غير ناضجة صغيرة وغير ناضجة • لم أفهم • آمالي كانت كبيرة • وكلماته كانت في حدود واضحة ولم أفهم • لم أكن أفهم • كنت فقط أحلم •

سمعت زميلتي تقول :

« أنا لاأومن بالظروف • هـذه الاشـياء التي نبرر بها عدم انجازنا للشيء •

اقترب مني أكثر • قال :

ـ جئت لانى أعرف انك هنا
ـ لم تعرف مكانى قبل اليوم ؟
ـ أعرف طبعا أعرف . لكن .
قلت ـ شغلك مركزك
ـ لم يحبنى أحد بعدك
ـ أنت لم تحب أحدا .
ـ ماهو شعورك الآن .
ـ لاشيء .
ـ وصلنا الى مرحلة من العمر تحدد فيها بوضوح شعورنا .
ـ ليست بى أى مشاعر نحوك .
قال ـ لم يعد يهمنى شيء .. الحياة عشتها . فعلت كل شيء .. ونلت كل ماأتمنى . هزنى الفرح هزنى الحزن . هزتنى كل المشاكل المستعصية .
ـ شيء واحد لم يهز مشاعرك .

نظر الى هذه النظرة المتسائلة تشاغلت بالوجوه التي حضرت . ذهبت اليها . ضمتنى . قبلتنى سألتها عن حياتها . قالت انها اذا كانت رسمت احلامها بكل الادوات الهندسية ماكانت قد تحققت بنفس الدقة .. أمسكت الخشب وأنا أضحك .
الاحلام احيانا تبدأ كبيرة ثم تصغر . وأحيانا تبدأ صغيرة ثم تكبر . هذا حسب . حسب ماذا . لم أعد أعرف .
يتحدثون بحذر . يلتفتون بحذر حتى لايخرج أحد عن اطار صورته الجديدة اللامعة . الاحاديث تدور . وأكواب المشروبات تدور .

أظن انه شرب الى حد الثمالة او تظاهر بها . زميلنا القديم. أخذ كأسه وقف وسط الجميع . وقال : «اخوانى» لم يلتفت له أحد وقف فوق مقعد وقال :
«اخوانى فى القمة . لنشرب تحية لكم . وتحية لنا . نحن الذين عملنا فى صمت . وبصدر رحب تركناكم تصعدون على أكتافنا .. » .

حدث نوع من الصمت الحرج ٠ اقترب منه اثنان وحملاه لينزل ٠ قال وهو مازال رافعا كاسه :

« لنشرب تحية لاكتافنا » ٠

صفقوا له ٠ بشيء من الحرج حتى يبدوا سعة صدورهم ٠ حتى يصمت الى أن ينتهى لقاؤنا ٠

وعندما انتهى الحفل ٠ ظهرت مفاتيح سياراتهم ٠ لم تعد أجسادهم تتكدس فى سيارة واحدة ٠ هل تذكرون السيارة القديمة ٠ كانت تتعطل فى الطريق وننزل ضاحكين نصلحها ٠ أو ندفعها بأيدينا ٠ مازالت رنة ضحكاتنا فى أذنى ٠ حلوة ٠ شابة ٠ مازالت صورتنا فى عينى ٠ ذلك الفيلم المرح القديم ٠

سارت قافلة سياراتهم ٠ يشير سائقوها لبعضهم ٠ ليذهبون الى بيوتهم المريحة ويحكون لزوجاتهم وهم يخلعون ملابسهم ٠ « أيه ٠٠ كانت سهرة ٠ التقينا بالمجموعة القديمة ٠٠ وكانت سـهرة ٠ »

وقفت فى المكان الذى أصبح صامتا ، اقترب منى صديق ٠

قال : مارأيك نذهب الى مكان مرح نكمل السهرة ٠ اختنقت من زيف أحاديثهم ٠

رحبت بالفكرة ٠ سرنا صامتين نبحث عن سيارة أجرة ٠

قال ـ لماذا أقاموا هذه الحفلة ؟

ـ حقيقة نسينا أن نسأل ٠٠

عندما يقترب الحب

نظر الى طويلا وهو يسلم على من وراء مكتبه . أشـــار الى المقعد أمامه أن اجلس . وعاد يكمل ماكان يكتبـه . وجهـه مألوفا الى .

قال وهو يغلق القلم :

ـ حدثونى انك ستحضرين وتريدين مســـــاعدتى فى عمل بحثك .. فى أى فندق تنزلين .

ـ عند صديقة لى هنا .

رفع سماعة التليفون وتحدث مع المصـنع بصيغة الجمع . قال : ان العلاقات العامة تتحدث . وكان صوت الرجل خلال



السماعة واضحا . سمعته يلقبه بسيادتك . وطوال فترة الحديث كان ينظر الى . هذه النظرة الطويلة الثابتة التى تربك من تتسلط عليه او توتره . كيف سأوجه الحديث اليه . هل أقول له سيادتك . أو صاحب السعادة . كانوا من زمن يقولون: صاحب السعادة . لم يعد أحد صاحب السعادة ، السعادة لم تعد تصاحب أحد . أصابتها خيبة أمل من العالم فأغلقت على نفسها واختفت . ابتسمت فى داخلى .

وضع السماعة وهو يقول :

ـ منذ متى تعملين ؟

ـ من فترة ٠
صمت ربما مغتاظا من اجابتى
قال : كنا زميلين فى الجامعة كنت طبعا اسبقك ٠

ـ ربما
ـ وجهك مألوف الى
ـ الوجوه متشابهة ٠٠
ـ كم يوما ستبقين معنا ٠
ـ أربعة

ـ لماذا متعجلة
ـ لآحضر ليلة رأس السنة فى مدينتى ٠

ـ هنا أيضا نحتفل

ـ أحب ان أمضيها مع مجموعتى

قال وهو يترك مكتبه ـ لنذهب الى المصنع ٠ لتأخذى فكرة عامة ٠ ثم تبدئين بحثك فى الجزء الخاص بالعاملات ٠

وسط ضجيج الآلات ارتفع صوته ليشرح ٠ اقترب منى أكثر لأسمع ٠ تحييه العيون خلف الآلات بترحاب ومودة ٠ وبدأت أعصابى المشدودة منه تهدأ ٠ أبادله الحديث وأسأل ٠ وفى مكان العاملات تحدث مع الرئيسة كلاما لم أسمعه ورأيت تعبيرات وجهها غير مرتاحة لما أرغب ٠

أربعة أيام فى صحبته ٠ شغلتنى شخصيته ٠ وأنا أكتب فى المساء مارأيت وسمعت يخايلنى وجهه ٠ بكلمة قالها لى ٠ أو نظرة احتوتنى وانا اتحدث ٠ هذه النظرة التى نحسهاانها خاصة لنا ٠ وشغلنى الحديث الذى كان بيننا فى المطعم ٠ سألنى عن حياتى ٠ كأنه يعرفنى حقيقة من أيام الجامعة ويسألنى عن حياتى فى تلك الفترة التى فرقتنا ٠

ونجد شيئا من الألفة يجمعنا ببعض الناس ٠ نادرا مانجده ونجدهم ٠ فنتحدث كأننا نختزن الكلام ٠ ونتعجب منمخزون كلامنا ٠ ونحتاج الى عين جديدة ترى فينا ماأصبح معتادا فى

عيون المقربين الينا · فلم يعودوا يروه أو لم يعودوا يروننا · تعودوا على رؤيتنا حتى أصبحوا لايروننا ·
ـوكان العين الجديدة التى ترانى · وتجدد برؤيتها مااصبح قديما فى ·

قال : السحب متراكمة · كيف ترحلين فى جو عاصف ·

ـ غـدا ··

ـ نعم · أعرف · ليلة رأس السنة ·

وبدأت السماء تمطر · وقفنا تحت مظلة · وكل عام نذهب مجموعة «شلتنا» كل يحمل شيئا للسهرة · وعادة يحضر كل منا ماتعود أن يحضره ونذهب الى بيت صديقة لنا لانه اوسع بيوتنا ·· وأجلس على نفس المقعد · ونتحدث كلنا · لاأحـد يسمع · ونرقص على أنغام صاخبـة · وتصرخ ضـحكاتنا · خوفا من عام مقبل ·· او حزنا على عام مضى · ونقول أمنياتنا للعام الجديد · دائما الامنيات مكررة · ونرتدى ملابس صارخة ملفتة للنظر · حتى يرونا هؤلاء الذين تعودوا على رؤيتنا حتى أصبحوا لايروننا ·

قال وهو يضع ذراعه حول كتفى :

ـ كيف سترحلين فى هذا المطر

ـ سأبقى · معك ·

ضغطت يده على كتفى · ضمنى اليـه · وسرى الدفء فى الجسد · تعانقت نظراتنا · الآن ليـس هو الذى يشرح وأنا المستمعة له · الآن ليس هو المضيف وأنا ضيفته · الآن هو· وأنا · اثنان التقيا بصدفة عمـل ·· وحـدثت بينهمـا هـذه الانجذابة التى نتساءل دائما كيف تحدث ·

وبقى المطر الى ليلة رأس السنة · اغسلى ياسماء ذنوب عام مضى · ابك فدموعك تريح السحب المتراكمة تزيلها · كانت دموعى كثيرة تلك السنة · حتى ظننت ان سحبى عنيدة ولن تنقشع · ابتعدى ياسـحب عن رأسى واسـمحى للدفء أن يحيطنى ··

ذهبت بصحبته الى ملهى ليلى صغير • مقهى زينوه ونظموه لهذا الغرض • لم أرتد ملابسى الصارخة • لم تكن معى •ولم أكن فىحاجة لها • فى ثوب عادى سرت بجانبه بى نشــوة كنت نسيتها وفرحة الشعور باقتراب الحب • هللمن عرفونى فى الايام السابقة • زملاؤه أو أصدقاؤه • تعجبوا لوجودى• وتهامسوا •

ابك يا ســـــماء فدموعك تريح الســــحب المتراكمة • ابك واسمحى لى أن ابتسم • هل سيلتفتون الى غيـــابى • أم لن يشعر به احد • ربما ينظرون الى الجالسة على المقعـــد الذى اعتدت الجلوس عليه كل عام ويظنوها أنا • اضحكوا كمـــا تشاءون • جاملوا بعضكم • وانتظروا هذه اللحظة الحاســـمة التى تفصل سنة • عن سنة •

قال ـ لماذا سارحة •

ـ لم اتصور ان اكون اليوم هنا •

ـ نادمة ؟

ـ استمتع بالجو الجديد •

وأنا استمتع بوجودك هنا • وسط الراقصين قرب شفتيه من اذنى وهمس « احبـــــك » الكلمة تطرب لها الاذن • وينتشر الطرب من الاذن الى كل الجسد • فى هذه اللحظـــة لا نتعمق فى سؤال او معرفة هل هى حقيقـــة • ام • لا • كلمة الحب كثير استعمالها • رفعوها على يافطة فى مظاهرات • وانحدروا بها فى حروف لاتينيه على حذاء • ومع ذلك لها هذا الوقع الخاص على الاذن عندما يقـــولها من نعجب به • ونتمنى فى انفسنا أن يقولها • هل خرجت السعادة من عزلتها لتحتفل بليلة رأس السنة •!

قال ـ ماذا ستدعين عندما تطفا الانوار •

ـ كأنها ليلة مباركة •

ـ التمنيات تحمل الدعاء •

ـ سأتمنى ما تمنيته دائما ان تكون السنة الجديدة أحسن من الماضية ٠

وضمنى اليه ٠

الآن تطفا الانوار فى الاماكن الساهرة ٠ الآن يتبــــادلون القبلات ويقولون الامنيات ٠ والاغنية المشهورة فى كل مكان تودع عام مضى ٠ الآن ٠٠ يقولون عام مضى ٠

إستنزاف ..

في الصباح وانا اقرأ الجريدة . نصف نائمة . نصف مركزة التفكير . قرأت قرارات .. قطارات . ولم أدر ماذا يعنون بهذه القطارات التى يتخذونها . وعندما تبينت الكلمة ضحكت .

فى الطريق . تجمعت نساء . وجوههن سوداء . ملابسهن سوداء لم اتبين هل يزغردن أم يصـــوتن سرت اخترق كتلة السواد بقعة خضراء وسط السواد . صورة تجريدية تخيلتها حتى لا التفت الى اصواتهن .

فى المصعد . قابلت احد زملائى .. ذهب للعمل فى مكـــان آخر . اصبحت اراه صدفة .



قلت ـ أحيانا كثيرة أفكر فيك ٠

قال لماذا لا تجعلين التفكير ايجابيا ٠

هززت رأسى بالايجاب ٠ سافعل ٠٠ اشياء كثيرة أقـــول سأفعلها ٠ لكن اليوم يمتلىء بمطالبه الهامة والتافهة او أشعر بالتعب فلا انجز شيئا ٠

هل يمكن أن يصل التعب بالانسان لهذه الدرجة ٠ تعب لا ادرى من أين ٠ أى شىء مصدر له ٠ الأحشــاء ٠ القلب ٠ الســـاقان ٠٠ الرأس ٠ الذراعان ٠ القـــدمان أى منها ٠٠ كلها !

قال الصديق • العمل • ولا شيء سوى العمل • والنجاح فيه هو الذى سيفرحك • سيشفيك • ووسط هذا الزحـــام المخيف من البشر لابد للانسان ان يجد له مكانا • ولا يكل •

لكن يا صديقى • اليس لأجسادنا حق فى الاســـترخاء • أليس لقلوبنا حق فى خفقات الحب • لا تضحك يا صـديقى لسذاجتى • لا استطيع أن أشعر بالحياة والحيوية بلا لمسـات حب • وخفقات قلب • ونشوة حقيقية للجسد •
يوم من هذه الايام الشديدة الحرارة •

قرأت فى مجلة نصيحة اذا اردت أن ترفـــع من روحـــك المعنـــوية المنخفضة • اشـــترى شـــيئا جـــديدا • سرت فى طرقات المدينـــة ابحث عـــن شيء • لكـــــن أولا على أن أدفع هذا المبلغ الكبير • لابد انهم اخطاوا فى الأرقام•

فتح الرجل دفاتره الكبيرة • مسح عرقه • قرأ • بصق • قال بأمتعاض ليس هناك خطأ • دعنى أفهم ارقامك • مســح عرقه • امسك بالقلم • كتب • بصق • تمتم • هل نريد أن نستغفل الحكومة • أفهمنى • لم أفهم • وزحف التعب الى •

سرت كثيرا • حتى كدت أفقد توازنى • من الحرارة • من هذا التعب الذى لا أدرى من أين • تائهة فى طرقات المدينـة تذكرت التائهين فى الصحارى كم هو ألمهم وانا اشعر بالتيـه وسط مبانى شاهقة • وطرقات معبده • ومحلات تعلن عـــن مشروبات باردة • جريت الى سيارة أجره لتنقذنى من هـــذا القيظ •

هذه السيارة اعرفها جيدا • تعمد سائقها الا ينظر الى • رمشت عينى • أنه هو • بجانبه امرأة • هل مازال يقابلها • لم التفت مرة أخرى اليهما • لماذا لم يغمرنى هذا الشـــعور الجارف من الغيرة والحقد والحب والكراهية هذا الشـــعور الجارف المفاجىء المختلط بكل شيء •

ربما من حرارة الجو • من التعب من شيء أخر فى نفسىغير محدد المعالم • كنت لا أريد شيئا سوى كوب ماء بارد • وحمام دافىء ونوم •

ارتديت اشيائى الجديدة · تزينت بما اشتريت · قابلت صديقة لى وجاءت صديقة لها · ثم صديقة لصديقتها · وتكون المعرفة وربما الصداقة فيما بعد · تحدثنا عن اشيائنا الجديدة · طربت اذنى لاستحسان ذوقى · تحدثنا عن اضطراب المجتمع وقالت صديقتى ·

ـ جيلنا فسد · وسابقنا أصبح واهنا · ولن تصلح الاشياء الا بفناء الجيلين ·

قالت صديقتها ضاحكة ـ داعية للحرب ·

باحاديثنا المسليه · ونسمات الليل المنعشة · ذهب التعب · نسيت حرارة النهار · وسيارة الظهيرة والشعور الذى لم أشعر به · قمت من وسطهم لاحدثه · لنكمل معا سهرة الليل ·

صوته غريب على اذنى · حتى سالته من انت · نعم انه هو ·· ماذا بك ·· لاشيء · هل نتقابل ·· ربما · معك احد ·· لا · احدثك من مكان عام ·· سأحضر اليك ·

لم أطرب لصوته · سيفتعل مشاجرة ويلبسنى الخطا فى أى شيء · سألتنى صديقتى ـ ماذا بك ·

قلت ـ احيانا يصيبنى تعب مفاجيء ·

نظرت الى بطرف عينها · لم تصدق ما قلت ·

لكنى بدأت أشعر بالتعب حقيقة عندما ذهبت أليه · لم ينظر الى بفرحة لم يلاحظ اى جديد على · وبدأ التعب يزحف الى ·

قال ـ قابلتها صدفة · وسالتنى ان اوصلها · هل ارفض فى مثل هذه الحرارة حتى لاتغضبى أنت ·

لم يغمرني هذا الشعور الجارف من الغيرة والحقد والحب والكراهية ·· هذا الشعور الجارف المختلط بكل شيء ·

ذهبنا الى مكان مفضل اليه · استطعت ان اتحدث فى اشياء مبهجة · لازيل غضبه المفتعل والتعب الذى اشعر به · ونجحت ·

بدأت الابتسامات تنتقل من شفتيه الى شفتي • والكلمات • والضحكات • اثنان فى لعبة كرة البنج بونج بمهارة متساوية •
جاء احد أصدقائه • ومعه فتاة جديدة • رجل لا يسمح للملل ان يتسلل اليه • جلسا معنا • قال لصاحبى متهكما •
ــ لم نعد نراك هنا • ولا فى الحفلات •
قال صاحبى ــ ربما الزهق • او السن •
قال صديقه ــ صاحبتك الفرنسية تزوجت •
قال صاحبى ــ صاحباتى كثيرات •• اى منهن ؟

ودار الحديث بينهما هكذا سخيفا • التفت الى الفتاة احدثها • مالت على أذنى وقالت هامسة •

ــ يقززنى غرور الرجال • لى اصدقاء كثيرون • ما رأيك لنذهب ونتركهما •

لم اصدق ما سمعت • ضحكت •• وضحكت • التفتا الينا • أخذها صاحبها من يدها وذهبا لم ارد أن اتحدث • لم استطيع أن اتحدث • ربما من حرارة الجو •• من التعب • من شىء أخر فى نفسى غير محدد المعالم •

قال ــ لماذا تنظرين الى بكراهية ؟
ــ لا أدرى •
ــ نظرتك تفضحك •
ــ لا أدرى •
ــ لماذا تتحول نظرة الحب الى نظرة كراهية ؟
ــ هل تدرى ؟
صمت لحظة وقال ــ أين سنمضى بقية الليل •
•• أشعر بتعب واريد ان اذهب •• وذهبت •



آخر الصيف

كنت اعبر طريقا بجانب عسكرى مرور ٠ استوقف السيارات لاعبر ٠ كان يكتب فى ورقة مخالفة ٠ سالنى عن تاريخ اليوم ٠ توقفت خطواتى ٠ لم استطع ان اتذكر ٠ تاسفت له ٠ فالايام اتجاهل تواريخها ٠ منقادة لمرورها ٠ اتعجله أم ارجوه أن يبطىء !

كم من الوقت مر دون ان أجلس فيه مع نفسى ٠ قال لى يوما صديق من حين لآخر لابد أن تجلسى مع نفسك ٠ تحدثيها تعاتبيها ٠ تهنئيها ٠ اين ذهب هذا الصديق لا أدرى ٠ أين ذهب الأصدقاء !

أحيانا فى الطريق او فى مكان عام ادير راسى بين مجاميع



الناس الهائلة فلا اجد احدا أعرفه او يعرفني . هل انا ابتعدت عن الحياة العامة . ام هم غرباء عن البلد فلا اعرف احدا منهم!

احيانا وانا في سيارة اجرة انظر الى السيارات المجاورة . تجرفني رغبة أن أحيي احدا . ابتسم لاحد . اشير لاحـد . واجدهم غرباء حولي . كان كل معارفي تركوا البلد وجاءت بدلهم هذه الوجوه الجديدة . واحيانا اخرى وانا اسـير في الطريق يتبعني احد هذه الوجوه الغريبـه . يبطىء خطواته عندما ابطىء . يسرع عندما اسرع . يعبر الطريق عندما اعبر . اتضايق من وجوده وتتبعه . ادخل أي محل أو اركب سيارة أجرة إهرب من وجوه الغرباء في الطريق . اين ذهبت الوجوه

التى اعرفها • هل فترة اختفائى كانت عظيمة الى هذه الدرجة تلك الفترة •

الصيف • هل حقيقة مر • كل شيء يؤكد انتهاءه • السحب البيضاء • النسمة الباردة والغروب المبكر . وهذه الانقباضة التى تمر على القلب بشعور المودع مرت الشهور دون ان أحقق شيئا مما قررته وتوقعته • وتمنيته فى أول الصيف • ربما لذلك لم أعد انظر الى تاريخ اليوم •

هل الانسان يولد بحظه • تعس او سعيد • وان الاختلاف او التغير هى اشياء نضحك بها على انفسنا ! فترة انخفـــاض سحيق للروح المعنوية نجحوا فى ان يجعلون الحق شيئا مجمدا تمثال صغير فى متحف للعاديات القديمة • كان تحفه فى عصر بعيد وانقرضت •

كتبت ورقة استقالتى ورفضها رئيسى • قال : لايعنى أن سلعة ظهرت انها ضارة وتوقف انتاجها ان نتوقف عن عملنا •

قلت ـ لم أعد استطيع الاستمرار فى هذه اللعبة •

ـ انت لست مسئولة عن خداع الناس • انت فقط قمـت بعملك •

ـ روجت لها • حتى أصبح اسمى مقرونا بالاعلان عنها •

ـ كانت اجمل رسوماتك عنها •

ـ لا أستطيع الاستمرار فى اللعبة •

ـ ونحن لانستطيع ان نستغنى عن رسوماتك فى وكالتنا • أعصابك متعبة • اننا فى اول الصيف • خذى اجازة كماتشائين •• من زمن وانت تدورى فى العمل طول اليوم • خذى أجازة •• أن أردت الصيف كله •

نظرت اليه وجدت وجهه غريبا • كأنى اراه لاول مرة •واحد من الوجوه الغريبة التى اراها فى الطريق أو مكان عـــام • لا أعرفها ولا تعرفنى •

وكان الحلم شيئا مثل الكابوس استيقظت فلم اجد ذراعى انزعجت كنت انام فوقه وكان مشبعا برطوبة فلم اشعر به • طول الليل فكرة مزعجة اننى فقدت ذراعى • وهذه اليد التى روجت لسلعة ضارة •

فى هذا العمل وجدت النجاح المادى • انهمكت فيه •وضعت

فيه احساسى وفنى واخذتنى دائرة عمل كل يوم فلم اجد وقتا أجلس فيه مع نفس ٠وكانت الصفعة التى افاقتنى ٠ هذا العمل الناجح كان يخدم سلعة ضارة ٠ هاجموها ٠ ثم امتنعوا عن انتاجها ٠ هل النجاح فى الشئ الظاهر ٠ أم هو رضا النفس كما تفعل اليد والعقل ٠ ام الاثنان معا ؟

قال صاحبى ـ رئيسك رجل عاقل ، كيف تودين ترك مكان يساندك فيه رئيسه ويقدرك ماذا تريدين فى العمل اكثر من ذلك ٠

قلت : أريد نفسى ٠ أجد نفسى ٠
ـ انت ناجحه فى عملك ٠
ـ تتحدث مثله ٠ لا احد منكما يدرك الم نفسى ٠
ـ وماذا ستفعلين بالاجازة الطويلة ٠
ـ سأبحث عن عمل أخر وأقابلك كل يوم ٠ ويكون صيفا مختلفا ٠
ـ واذا لم تجدى عملا ٠
ـ سأعمل فنا ٠ اعرضه كل عام فى معرض ٠
ـ من سيساندك ؟
ـ الناس ٠
ـ من سيدفع الناس لمساندتك ؟
ـ انت رجل مادى ٠

ـ انا واقعى اريد ان احميك من شطحات خيالك ٠

سخرت من واقعيته ٠ سخر من خيالى ٠ قال انه وجد ان لاشئ فى الحياة يغرينى توقفت عند عبارته فقال متداركا ان هذا يجعل لديه ثقة فى ، أو شئ من هذا القبيل ٠ نظرت اليه وجدت وجهه غريبا ٠ كأنى اراه لاول مرة ٠ واحد من الوجوه الغريبة التى أراها فى الطريق او مكان عام ٠ لا اعرفها ولا تعرفنى ٠ وسافر دون ان يودعنى ٠ أرسل يقول ٠ عمله استدعاه للسفر العاجل ٠ قال سيغيب بعضا من الصيف ٠ قال انه يرجو أن يجدنى عندما يعود قد عدت الى عملى ٠ قال ٠٠ مزقت الخطاب ٠ وعدت اجمع وريقاته ٠ اقرأ كلماته وابكى ها هو قد غاب الصيف كله ٠ اذا قابلته الان ٠ هل ساتعرف على وجهه ؟

صمت وسط ضجيج العالم

سالت سائق السيارة ان يسير ببطء فى الشـارع الذى اعطيته عنوانه • حتى استطيع أن اقرأ أرقام المنازل ، فهـذه أول مرة أزور زميله لى فى عملى فى هذا الحى البعيد • وقعت نظرتى على يافطة اسم طبيب . ابتسمت بحب ، وامتنان •ربما المريض يتعلق دائما بمن يشفيه • لم يقل لى نصيحة من نصائح الاطباء الجميلة هذه التى مثل نصائح صفحة الارشادات خلف كراساتنا قديما وكان العلاج هادئا • مريحا • حتى أصبحت أفرح باليوم الذى أذهب لزيارته كل اسبوع • شغلتنى نظرة عينيه وسألت عن حياته الصديق الذى أرشدنى اليه • لكنى لم أعرف عنه الا القليل •



رفعت رأسى الى « الفيلا » .. سألت السائق أن يتوقف . أعطيته نقوده . ووقفت أنظر حولى .. والى اعلا .. شىء مثل الاماكن التى نراها فى أحلامنا ونزورها في الحقيقة . لكن هذا المكان رأيته فى الحقيقة وزرته فى الحقيقة . لقد جئت الى هذا الشارع من زمن وصعدت الى هذه « الفيلا » بالذات . وتذكرت صديقتى « فايزة » ، « زرتها هنا يوما فى بيت أخيها الطبيب . لكنى لم أره . ولم أقابله يوما من أعوام صداقتى لاختـــه فى الثانوى . سرت الى منزل زميلتى وبى فرحة اننى ســـاقول له فى زيارتى القادمة اننى دخلت يوما بيته . وسأساله عــن أخته . ويكون حديثا . خاصا .

سألته : هل لك أخت اسمها فايزة ٠
تحركت عيناه فى اتجاهات مختلفة ولاول مرة أرى اضطراب نظراته ٠
قال : نعم ٠٠ لا ٠٠ من تقصدين ٠
صمت قليلا امام نظرتى المتعجبة وانا صمت أيضـــا من مفاجأة تصرفه واجابته ٠
قال – من قال لك ان لى اختا اسمها فايزة ٠٠ وماذا قالوا لك ٠
اثارنى هذا الشيء الغامض فى حديثه ٠ وهذا الشيء الذى لم اقصده فى سؤالى ٠ قلت ببساطة حكاية مرورى امام بيته وارتاحت قسمات وجهه ٠
قال – متى رايتيها آخر مرة ٠
– يوم زرتها فى بيتك عندما جاءت من بلدكم تجهز لزواجها ٠٠ وقبل أن اسأله أين هى الآن ٠
قال – هى تزوجت ٠ وسافرت ٠
كانت اجاباته قاطعة لتنهى هذا الحـــديث ٠ وقال لينهى زيارتى أيضا أن عنده موعدا ٠ زادت من فضولى اجابته الغامضة لاعرف ماذا حدث لصديقتى القديمة « فايزة » ٠
لم تكمل دراستها الثانوية وذهبت لتعيش مع ابيها عندما تزوجت اختها الكبيرة وجاء دورها لتتزوج ٠ حزنت يـــوم فراق « فايزة » ٠

●●●

كانت بالنسبة لى العالم الغامض الذى لم أعرفه بعد ٠كانت تعرف من أمور عالم العاطفة والجسد أكثر مما نعرف ٠ ربمـا بسبب جسدها المكتمل قبلنا او لانها كانت فى العمر تكبرنا ٠ فى يوم حدثتنا عن فوائد صدر المرأة وانه ليس فقط لتغذية الطفل كما كنا نفهم ٠ وافهمتنا ٠
حكت لى عن اختها الكبيرة التى تعيش مع ابيها فى البلد بعد وفاة والدتها وترفض الزواج ٠ وكيف انها مستفيدة من عدم زواج أختها فمن قانون أبيها الا تتزوج الصغرى قبل الكبرى ٠ وهكذا كانت فرصة لها أن تعيش فى المدينة مع أخوتها وتتعلم ٠ كانت تحكى لنا عن التناقض بين اخويها الذى يدرس الطب لا يهتم بغير علمه ومستقبله وأكبرهم كان لايهتم بدراســـته

ويطلب النقود من أبيه لاسباب وهمية ليصرفها على ســـهراته وعشيقاته • وكان يشعل السيجارة للراقصة بورقة العشرة جنيهات• كنا عندما نسمع حكاية الجنيهات المشتعلة نكاد نبكى من هول المبلغ ونفكر ماذا كان يمكن أن تصنـــع لنا عشرة جنيهات •

كنت صديقتها المقربة فكانت تحكى لى اكثر عن ذلك العالم الغامض • كانت تقول لى انها تريد ان تفعل شيئا خارقا •لكنها لم تكن تميل الى العلم • او الفن • وحكت لى عن جارها الذى تحبه والذى كان يسكن فى حجرة فوق سطح منزلهم يعمل ويدرس فى الجامعة • كانت تحكى لى عن الامســيات التى تمضيها فى حجرته • أخوها الاكبر دائما فى سهراته الماجنة• وطالب الطب كان يستذكر مع أصدقائه • خارج البيت • كانت تحب الثانى وتشعر بتقارب معه • فأى شىء خارق قد فعلته فايزة حتى يفزع أخوها الذى كانت تحبه بمجرد أن سألته عنها •

عندما سافرت الى بلدها كنا نتراسل • وكتبت لى عنوان شقيقها الطبيب وحددت لى اليوم الذى ذهبت فيه اليها •طافت بى فى حجرات الفيلا الصغيرة • كان معظمها خاليا • قالت أن أخاها أصبح طبيبا • وأبوها اشترى له هذه « الفيلا » وانه خطب وسيتزوج • قالت انها لا تطيق خطيبها وسألت اباهـا أن يعطيها نقودا لتضعها فى بنك فى العاصمة لم يرفض الاب حتى ترضى بالخطيب يومها كانت تدخن بشراهة وقالت أن السيجارة أصبحت صديقتها فى وحدة الريف •

قلقت من أجلها • وسألتها أن توافينى بأخبارها • لكن منذ ذلك اليوم البعيد انقطعت أخبارها •• وغابت صورتها • غريب هذا الفيضان من الذكريات بمجرد رؤية آخر مكان قابلتها فيه •• تتدفق هكذا •• عجيب عقلنا وما يختزنه • تملكتنى رغبة عجيبة أن أعرف ماذا حدث لفايزة • أو ربما هى رغبة مستترة لاهتمامى بأخيها والتقرب اليه •

●●●

قلت ــ المفروض هذه زيارتى الاخيرة •

ابتسم مرحا ــ فى عيادتى فقط •

ابتسمت موافقة ٠
قلت ـ فايزة كانت صديقتي ٠ وكنت أحبها ٠٠ و ٠
اختفت ابتسامته وقال بغضب ٠

ـ هي سافرت من زمن ولا أعرف شيئا عنها ٠
وجد انه صرخ في وجهي وربما انب نفسه ٠ فاشـعل سيجارة وقال بهدوء حزين ٠

ـ اذا كنت خالية ٠ انتظريني الى أن انتهي من عملي سأحدثك عن صديقتك ٠
اخفيت فرحتي ـ سانتظرك ٠
ركبت بجواره في سيارته ٠٠ سار في شارع الهرم ٠
قال ـ أي جريدة تقرئينها وأي مجلة ٠
ـ كل الجرائد والمجلات ٠
ـ من سنين كانت حادثة عن مطاردة قاتل ومهرب في صحراء الهرم ٠

ـ من وقت لاخر تظهر حوادث مطاردة قاتل ومهرب ٠
ـ كانت حادثة فريدة ٠
صعد بالسيارة مطلع الهرم وسار في طريق الصحارى ٠
قال بعد صمت ـ كان الرجل خطيرا ٠ يصعب القبض عليه وكان متواطئا مع شخص معين في البوليس ٠ عندما نقـل هذا الشخص وشى به احد اعوانه ٠ عرفوا انه سيقضي ليلة هنا في الصحارى ٠٠ في خيمة ٠ فاجئوه في اللحظة المناسبة ٠

كان سلاحه بعيدا ٠٠ كان عاريا وكانت معه امرأة عارية كانا خارج الخيمة ٠٠ هكذا على رمال الصحراء ٠٠ جرى الرجل ٠٠ شعرت انه يلهث كأنه هو الذي يجري ٠ تذكرت الحادثة التي شغلت الرأي العام وقتها لان الذي وشى بالمهرب وشى أيضـا بالضابط وقيل أن المرأة كانت من عائلة غنية في الريف ٠
قلت ساهمة ـ وجرت المرأة العارية ٠٠ قتل الرجل برصاصة مطارده واختفت المرأة لم يعثروا لها على أثر سوى ملابسها هل ٠٠ كانت ٠
اوقف السيارة ٠ نزل ٠ سار كأنه يترنح ٠ مرت الحقه ٠ جلس على صخرة صغيرة ٠ جلست بجواره ٠ لم يكن القمـر

بدرا لكن ضوءه كان مؤكدا واضحا ، ورأيت دموعه الصامتة • حوطت كتفه بذارعى أخذت رأسه على صدرى • لحظات • فى صمت الليل والصحراء ودموعه الى أن هدات •

قال ـ كنت أريد ابكى هذه الحادثة منذ خمسة عشر عاما• أمسك رأسى • هزها بحنان او امتنان •

قال ـ أشكرك أنك جعلتينى ابكى •

قبلنى قبلة سريعة على وجنتى لم آكن احتاجها لتثيرعواطفى •• كانت من فترة تختلج فى نفسى •• ربما منذ زيارتى الثالثة • وحديثنا الودى •

نظرنا فى عينينا • واقترب وجهانا افاقنا صوت سـيارة فابتعدنا •

قال ـ تشربى شاى •• لى هنا شاليه •
امام نظرتى المتعجبة قال ـ عندى من فترة • أحيانا أقيم فيه حفلات واحيانا أحب ان أمكث وحدى بعيدا عن ضجة العالم •• اتأمل الصمت والصحراء واتذكر فايزة •

ذهبنا الى سيارته •• سالته ـ أين اختفت فايزة •
ابتسم هذه المرة لسؤالى • قال بهدوء وهو ينظر أمامه • كأنه ينظر الى الافق أو ما ورائه •

ـكانت عارية •• لكن حقيبتها كانت معها •• حريصـة • استطاعت أن تختفى من البوليس الذى انهمك فى مطـاردة الرجل • اختفت عند خفير • اشترت منه جلبابا بثمن باهظ

• ثم اختفت عند صديقة لها سحبت نقودها من البنكوسافرت الى بلد عربى قريب •• أرسلت لى قصتها هذه بعد فترة من اختفائها • وقالت انها هربت من أجلى •• قبل الحادثة كانت قد طلقت • منعت الحمل دون أن يعرف زوجها ولمـا طلبت الطلاق بعد وفاة والدنا لم يعارض الرجل لانها لا تنجب •
سألتنى أن تعيش وحدها لم اضايقها لانى عرفت عذابهـا أيام زواجها هذا الذى لم أستطع ان أمنعه او الحقيقة لم أحاول جديا ان أمنعه •• بعد الحادثة عملت المستحيل حتى أخفى

شخصيتها • حتى لا يظهر اسمها فى الجرائد ويشهروا بى •
كان أصدقاء القتيل يعرفونها فاشتريت صمتهم • لا أنكر • خفت على اسمى وسمعتى كطبيب أصبحت فايزة بالنسبة لى كابوسا ذكراها واسمها وحتى اختفاءها وربما عـــذابى اننى لم اساعدها • انكرتها كما انكرتها عائلتنا وأصبحت بالنسبة لنا من الاموات •

ولم يذكر أحد اسمها طوال تلك السنوات الا انت •
وصلنا الى شاليه منالحجارة جاء حارسه أشعل شموعا • وضع لنا مقعدين بجانب الباب فى مواجهة الصحراء • وبعـد لحظات أحضر أمامنا ابريق شاى وكوبين •• فى هذه اللحظات طافت عيناى بالمكان الصامت • نظرت الى وجهه •• تغيير عجيب حدث لوجهه •• أصبح مضيئا • خلعجاكتته وجلس باسترخاء على المقعد •

قال ـ هل تدرى •• لقد أرسلت لى فايزة من فترة حكت لى عن التعب الذى لاقته • وهى الآن تعمل سكرتيرة فى شركة • هل تدرين •• لقد تزوجت ايضا وانجبت طفلة •
سألته ـ لم ترتبط •• أنت • ؟
هز رأسه •• لا •
قال ـ بسبب شبح الحادثة •
ـ أظن كنت « خاطب » •
ـ كانت من عائلة كبيرة معروفة • فتركتنى بعد الحادثة تحت ضغط أهلها •• بعدها خفت الحب •• خفت الارتباط •• وانت •• لماذا لم •
ـ أنا لم أخف الحب •• ولم أخف الارتباط •• لكنى فشلت •• وربما فشلى كان سببا فى مرضى الذى عالجته •
قمت • سرت تجاه الصحراء •• لحقنى • امســكنى من كتفى • والتفت اليه •

قال ـ انت أيضا عالجتينى من عقدة أختى • اول مرة منذ خمسة عشر عاما أتحدث عنها •• أول مرة أقول اختى •• أول مرة أقول انها أيضا تعذبت وضحت من اجلى ربما كنت أريد أحد يحبها حتى استطيع أن اتحدث معه عنها •• كنت أتحدث

عنهــا هنــا وحــدى مــع نفسى ٠٠ أول مرة أقــول لك انني ارتحت اليــك ٠ شــعرت بشــعور غريب نحوك ٠٠ قلت ربما يظهر يوما ٠٠ اليوم يظهر ٠٠ هل شعرت بشيء نحوى ٠

ـ شغلتني نظرة عينيك ٠٠ شغلتني شخصيتك ٠٠ حلمت بك أحلام يقظة ٠ فرحت يوم تذكرت أختك وان هناك سيكون حديث خاص بيننا ٠٠ كدت اطير من الفرحة هذا المساء وأنت تسألني أن أنتظرك ٠

تعانقنا لهذه المشاعر المتبادلة جلسنا على الرمال ٠

قال منطلقا بحديثه ـ مارأيك نسافر معا لفايزة ٠

لمعت فى عينى الاحلام قلت فرحة ٠

ـ ستفرح برؤيتك وصفحك عنها ٠٠ وأظن ستفرح برؤية صديقتها القديمة أيضا ٠

ـ غدا نعد لسفرنا ٠٠ لاتخذليني ٠

ـ لن أخذلك أبدا ٠

وكانت الرمال تلمع ٠ والسماء تلمع ٠ وعيناه تلمعان ٠

الحقيقة أحيانا

بعد قول الاسم والمهنة والقسم بقول الحق بدأت أسـئلة الرجل :

— منذ متى تعرفين الخائن
— من سنين بعيدة
— ماذا كان بالنسبة لك
— حبيبى
« همهمات بين الجالسين وبعض الابتسامات . لن أهتم »
— هل كنت تعرفين بخطته الدنيئة
— لا



— المحبون دائما يتحدثون فبماذا كان يحدثك الهارب فى الايام الاخيرة

— هو قليل الكلام . وارجو الا تستعمل اوصافا كثيرة .

— هل يمكن ان تحكى شيئا عنه ؟

— تركت امه البيت وهو صغير .

— ابوه هيأ له حياة مريحة

— لم يكن سعيدا . الانسان عندما يفقد موضـــوع حبه من الصعب ان .. يجد السعادة فى المادة

— من اقوال ابيه انه كان لايحبه بالرغم من انه لم يحـرمه شيئا وكان عصبيا سيء الخلق يسهر كثيرا للصـباح فى النوادى الليلية بحجة انه منضم الى فرقة موسـيقية ، وكان كثير المغامرات مع الساقطات .

— كان يبحث عن الشيء الذى فقده
— مهنتك طبيبة نفسية فهل حاولت علاجه
— نعم . بالحنان والحب

« همهمات بين الجالسين . لن اهتم . جئت غير مرغمة لانقذ حبيبى . »
— هل احببتيه حقيقة أم كان مجرد علاج
— احببته حقيقة
— وهـو
— احبنى
— لماذا تزوج اخرى

— خاف ان اتركه واهرب . فتزوج من فتاة لايحبها
— وصدقت خدعته .

— انا طبيبة اولا . واعرف عقدته منذ ان تركته من احبهـا

صغيرا وهو يخاف الحب . ولانه عاطفى وضـع حبه فى الفن . شيء متاكد انه لن يتركـه . بل كـلما اتقنه زاد التصاقا به

— هل بعد ان انفصل عن زوجته عاد لك

— اننا لم نفترق . كنت طوال فترة زواجه طبيبته وصديقته. لقد تركته يخوض التجربة ليكتشف قيمة الحب فى حياتنا وانه ليس شيئا نتعذب به ومنه لكنه شيء لنسعد به .
« همهمات بين الجالسين . ابتسامات . اغتظت »
— لماذا لم يتزوجك

— هل الأسئلة الشخصية ضرورية فى التحقيق
— شخصية المتهم تظهر فى حياته الخاصة . والذى لا يحفظ

جميل ابيه لايحفظ جميل بلده . يبدو ان الخيانة طابعه منذ صغره ياطبيبة .

— لايولد احد وفى اصبع قدمه كالو فهو نتيجة الحذاء الضيق واستعماله . الكالو مثل الأخلاق السيئة . لايولد أحد بها .
« ضحكات بين الجالسين . كلهم يشمئزون من ظهور الكالو . يحاولون دائما ازالته . لكنه يظهر من جديد . مادام أصاب قدما من الصعب ازالته »

— كيف احببت شخصا أخلاقه سيئة .
— ليس سيئا . انه انسان طيب . مجروح فى حبه
— ماذا قال لك قبل الحادث ؟

— لاشىء ، كان متوترا وارجعت توتره الى قراره بالسفر ومواجهة أمه بعد أن تأكد من وجودها فى تلك البلد . .
— لماذا وهى لم تسأل عنه
— قال انه لن يستطيع أن يمارس حياة طبيعية قبل ان يواجه

أمه وانا كطبيبة شجعته على هذه المواجهة .
— الم تر معه مسدس
— لا
— الم يهددك يوما بالقتل

— انت تضحكنى
— لقد هدد قائد الطائرة بمسدس

— لابد انه كان مسدس اطفال
— قال صديق له انه اشترى معه المسدس وكان حقيقيا .

وانه قال له انه لن ينجح فى حياته قبل ان يقوم بمهمة قاسية
— هل كان ينوى قتلها ؟

— كانت مهمة اخرى

— ولانى متأكدة انه لايستطيع القتل فقد عدل فى اللحظة الأخيرة

— بماذا تعللي تصرفه . أن يجبر الطائرة بالتوجه الى دولة غير صديقة

— خوفه من المواجهة . وقطعا اسم البلد جاء الى رأسه دون تفكير فى كونها صديقة أم لا . .

— اذا كان خاف المواجهة لماذا لم يعد فى نفس اليوم دون أن يذهب اليها

— ربما خاف من وجوده فى نفس البلد التى هى فيها . وربما هذا الخوف قد شل عقله عن التفكير السليم ، وربما جاءته فكرة خطف الطائرة من الحوادث الكثيرة التى تكتبها الصحف عن خطف الطائرات بسهولة . وربما أراد أن يلفت نظر امه اليه عندما تقرأ الحادث فى الصحف وتعرف انها السبب

— ليكن ماتقولين من تحليل نفسى صحيحا . لكن . هل يوجد احد الآن لايعرف الدولة الصديقة والغير صديقة .

— تفكيره منحصر فى دائرة فنه وعقدته .

— شوهد كثيرا بصحبة أجانب

— موسيقيين مثله

— هل هى صدفة أن بعضهم من نفس الدولة التى ذهب اليها .

— قطعا صدفة

— على أى حال طاقم الطائرة لم يعطه الفرصة للقيام بمهمته . واعادوه منهارا كما تعرفين .

« همهمات بين الجالسين يشكرون طاقم الطائرة » .

— صدقنى . لم تكن لديه مهمة ليقوم بها سوى مواجهة امه .

— كانت لديه معلومات

— اعرفه من سنين بعيدة . معلوماته كلها موسيقية . قراءاته فنية . الصحف يقراها نادرا . ونشرات الأخبار لايسمعها لان اصوات مذيعيها تزعجه .

— على أى حال كل شيء سيظهر فى التحقيق

— ربمـــــا ..

« همهمات بين الجالسين . ارتفع لغطهم »

— من فضلكم لا نريد ضجة . من هذه الســـيدة التى اغمى عليهـــا

— ملامح وجهها ليست غريبة على

— نشكرك ، افيقوا هذه السيدة نريد اقوالها

« يبدو اننى لست الوحيدة فى هذا العالم التى تعرف انه ليس خائنا » .

حالة ليست خاصة

الطبيبة النفسانية ــ منذ متى تأتيك هذه الحالة . ؟
المريضة ــ سنة أو أكثر .

ــ حدثيني عن حياتك العائلية .

ــ اسأليني وأجيب .

ــ تتحدثان معـــا . ؟

ــ لا يحب حديثي . يظن انه الوحيد الذى يتقن الأحاديث .

ــ تخرجان معـــا . ؟

ــ فى القليل .



— تضحكان معـــا . ؟

— لم نعـــد .

— عندما تكونين فى أزمة او مشكلة تحدثينه . ؟

— يوبخنى . لا يساعدنى .

— وعندما تكونين فرحة لشىء خـاص بك . ترقيت مثلا فى عملك هل تشركينه . ؟

— لا أستطيع .

— حدثينى عن أول مرة جاءتك هذه الحالة .

●●●



« كانت دورة تثقيفية من هذه التى ينظمها عملنا . فى قاعة محــاضرات كبيرة . وقف الرجــل المحــاضر يتحدث . كان الحاضرون اكثر من المائتين . وكان صوت الرجل هادئا رخيما . قارنت صوته بصوت الرجل الذى يحدثنى فى البيت كيف يزعق مع انى الوحيدة المستمعة اليه . عندما سألته يوما لماذا يزعق قال نبرات صوته تعودت على هذا الزعيق ، لانه دائما يتحدث امام عدد كبير من الناس فى قاعات كبيرة ولابد أن يزعق حتى يسمعوه ويؤثر فيهم . تعجبت أن الرجل المحاضر لا يزعق حتى يسمعه ذلك العدد الكبير . اعجبت به . تخيلته انه هو الرجل الذى معى فى البيت . بعد المحاضرة الاولى انتظرته خــارج القاعة لأسأله سؤالا لم استطع أن أسأله وسط ذلك الجمــع الكبير . خفت أن اتلعثم . ومع ذلك عندما اقتربت منه خرجت كلماتى مبعثرة من بين شفتى . تأسفت له . اهتم بى . حدثنى الى أن خرجت كلماتى منظمة وعرفت ان اقول ما اريد . كل يوم كنت استمع الى حديثه فى المحاضرة وانتظره لأسأله سؤالا واحلم به . وعندما انتهت الدورة اختفى . واختفت صـــورته وحزنت . »

●●●

الطبيبة النفسانية ــ حدثينى اكثر عن حياتك العائلية .

المريضة ــ اسألينى وأجيب .

ــ توجد هواية مشتركة بينكما . ؟

ــ لاشىء بالتحديد .

ــ تمارسان الجنس بانتظام . ؟

ــ . . . .

ــ ترغبينه . ؟

ــ عندما يكون لطيفا . ؟

ــ متى يكون لطيفا . ؟

ــ عندما يكسب قضية كبيرة يأتيه مال كثير .

ـــ ترغبينه أم ترغبين المال . ؟

ـــ دخلى المنتظم اكبر من دخله . هو لاياتيه مال الا كل حين .

ـــ كيف يكون لطيفا . ؟

ـــ عندما يقتنع أن هناك غيره يجيد الحديث فيستمع لى .

ـــ حدثينى عن الوجه الثانى أو الحلم الثانى الذى قابلتيه .

●●●

« تكررت نفس الحكاية الاولى . وجه جديد اقابله . يداعب آمالى . ازوقه بخيالى . اقربه بأحـلام يقظتى . دائما يكون صوته هادئا . اتخيله معى فى البيت . وعندما تختفى الصورة . او ادرك ان هناك حواجز بيننا اشعر بكآبة عظيمة حتى أنى لا استطيع أن اتحرك أو اقوم بعمل اى شىء . »

●●●

الطبيبة النفسانية ـــ هل خرجت مع احد هذه الوجوه . ؟

ـــ فى أحلام اليقظة .

~~ـــ تخنقنى الانفعالات فأبكيها . تحوم حولى الخيالات فأضمها~~

ـــ تخنقنى الانفعالات فأبكيها . تحوم حولى الخيالات فأضمها هذا كل شىء .

ـــ حدثينى عن حياتك العائلية .

ـــ اسألينى وأجيب .

ـــ تحبين عمله . ؟

ـــ احببته هو دون النظر لشىء آخر .

ـــ ولم يستمر الحب !

ـــ كل شىء يذهب بريقه بعد حين . الحب . المال . والمنظر الجميل . ونبحث عن شىء حقيقى .

ـــ ماهو الشىء الحقيقى الذى تبحثين عنه فى وجوه الآخرين ؟

ـــ الصـــحبة .

ـــ لك صـــديقات . ؟

— كثيرات .

— وأصدقاء • ؟

— فى عملى .

— وتبحثين عن صحبه ؟!

— اقابل صديقاتى من حين الآخر أصدقائى أحدثهم فى عملى . لكن عندما تمكثين وحدك فى الليل الطويل لا تجــدين من يبادلك الحديث فتحدثين نفسك . أو تتخيلين وجهـــا يحــدثك . ثم تدركين الحقيقة . وتداهمك المخـــاوف .

الاتفكرين فى معنى الصحبة ؟ • !
لم ترد الطبيبة •

— عندما تملين الكتاب . وتسلية وسائل الأعلام . وتريدين ان تخرجى فى الليل وان كان مجرد تمشـــية فى طريق .
الاتفكرين فى البحث عن صحبة •!
لم ترد الطبيبة •

— الاتدركين قيمة الصحبة ؟!
« استمر صمت الطبيبة » •
سألت بصوت اكثر هدوءا •
— ... تحبين عملك . ؟
— اقول لك . كان لابد قبل اختيار طريق فى الحياة أن نقرأ مئات الكتب . وقبل الخلط فى تصرفات الناس تجاهنا أن نعرف مئـــات المواقف . وقبل اختيـــار رفيق الطريق أن ندرس الشخصيات وربما أيضا ابراجها . لكن هذا طلب مثالى مستحيل . فالحياة تجرفنا قبل أن تستهوينا الكتب. والشخصيات تسحرنا قبل أن نعرف من هى . وتسحقنا التجارب قبل أن تعلمنا . وتسخر منا المواقف قبل أن نعرف كيف نتحكم فيها . لكل هذه الأسباب نخسر الكثير .

— فيلسوفة . وكيف تجدين الحل . ؟

— ...

— تظنين مثلا انه فى ارتباطك بأحـــد هؤلاء الذين يداعبون خيالك ؟

— . . . .

— ربما تعاد نفس القصة !

— لابد أن يكون مختلفا حتى لا تعاد نفس القصة .

— ربما يكون مختلفا و . .

— هناك كثيرون عرفوا المعنى الموحش للوحدة . هـــؤلاء يقدرون معنى الصحبة . . لماذا لا تعطينى أملا . . مادمت لا تجدين حلا . !

— . . . . .

العودة إلى التوازن

نظرت الى ملابسها القديمة .وقررت ان تجدد . واشترت.
نظرت الى وجهها فى المرآة وقررت أن تغير تسريحة شعرها وتعتنى ببشرتها . وفعلت .

واصبح الذهاب الى الرجل المشرف على البحث الذى تقوم به مثل موعد تنتظره متشوقة .
سالته يوما عن حياته الخاصة وصـــاحبته . وحكى لها . حكى ايضا عن قصة حب سابقة فاشلة وقال انه لا يتعقد من الفشل . ولما سالها عن حياتها الخاصة . اخترعت قصة حب تعيشها واعدة بالارتباط .

الحديث بينهما سخى . موضوع البحث عن « المنحرفات »



يقودهما للحديث عن كل مجتمع ، وكانت تســتمتع بالحديث والعمل ، لايكدرها سوى اهتمامه بفتاته ، فهو يحدثها كثيرا أو تطلبه هي . أحيانا كانت تسمع حديثه الهامس مجرد كلمات بسيطة يقولها . في نفسها تقول ما تتحدث فيه الفتاة تافه . ثم تقول ربما يتحدثان في أشياء هامة عندما يتقابلان .

أحيانا كانت ترجوه بنظرات عينيها أن يرحمهــا من هــذا الاستعراض اللا منتهى من الاهتمام بفتاته . ربما شــعرت بغيرة . بحسد .. هي معجبة بالرجل . هو من رغبه عقلها . تفكيره قريب من تفكيرها . أحيانا يقولان الكلمة أو الفكرة معا ثم يبتسمان وتهز رأسها متعجبة ، هو من رغبته عاطفتها فى لمحة

من لمحاته لها خفق قلبها • أعجبها اهتمامه بعملها • هذا كل شيء • اهتمامه بعملها • وهذا اختصاصه • وهذه فترة محددة ستمضيها معه •

● ●

في يوم كانا يقفان بجوار المكتبة الكبيرة في حجرة مكتبه يبحثان عن كتاب • لمحته على الرف الثالث وبدون أن تسأل عن سلم للمكتبة وضعت قدمها على أول رف وسحبت الكتاب • اختل توازنها • أمسك بها الرجل • وجدت نفسها بين ذراعيه والتف ذراعها حول عنقه • كل نظر في عيني الآخر كأنه يدخل أعماقه متسللا •

قالت هامسة – أنا مستعدة أن أغير حياتي •

قال – لكني لست مستعدا لتغير حياتي •

قالت وهي تبتعد :

– لننسى تماما هذه اللحظة • لننسى سؤالي وجوابك • ان ماشعرت به نحوك أقوى من هذه الاسئلة •

يومها شعرت بغصة حزن واختلطت دموعها بابتسامة الموقف الحرج • ومع ذلك قدرت صراحة الرجل • كان يمكنه ان يستغل استعداد عواطفها المتفتحة نحوه في الفترة المحددة لعملها معه • وزاد اعجابها به •

بعد هذه الحادثة البسيطة ، لاحظت أن جدية الرجل في المعاملة اكتسبت بعض الرقة وقالت ربما مجاملة بسبب برودته في صدها • لكنها لاحظت أيضا انه يتحاشى الحديث التليفوني مع فتاته أمامها وعندما تطلبه يقول لها باختصار انه سيتصل بها عندما ينتهي من العمل • ولم تدر أن الرجل كان يعيش أحيانا في حالة صراع نفسي ومقارنة •

● ●

كانت النماذج التي تدرسها عن المنخرفات «مأخوذة من

الكتب ومجلات التحليلات النفسية • وكان لابد من فترة عملية ومواجهة بشرية • صحبها الرجل ذات عصر الى بيت المنحرفات وعلاجهن • قابلت الكثيرات واستمعت الى قصصهن • غمزت لها احداهن وهى تقول هامسة ان الرجل الذى معها جـذاب وهنأتها على اختيارها • كانت تشعر بضيق واكتئاب زادت من حدتهما تلك الملاحظة •

عندما تركا بيت المنحرفات كان الغروب يحتضن المدينـــة بذراعيه الرماديتين الكئيبتين وزاد ضيقها • الميل ليس موعدا بصحبة • الرجل سيذهب الى صاحبته وربمـا يحكى لها عن تجربة زيارة البيت ثم ينسى كل شىء في أحضانها • وستذهب هى الى منزلها لتتذكر الحكايات المأساوية وتكتب ملاحظتها • لاحظ الرجل صمتها وربما ضيقهـا وحنقها ، فقال انهمـا قريبان من فندق عريق بحديقته الكبيرة مقهى وسألها أن يتناولا المرطبات • لم تتردد • كانت فى حاجة الى جو مختلف •

قال ـ لابد أن تركزى على الحالة الاقتصادية لهؤلاء الفتيات فهى من أهم أسباب انحرافهن •

قالت ـ من أهم الاسباب أيضا الرجل •

هز رأسه صامتا وحاول أن يبتعد عن الموضوع لكنها كانت تجذبه اليه وتتهم الرجل • كانت تجلس مقابلة له • منضدة صغيرة تفصلهما • وضع يده على جانب من وجهها وشعرها •

قال مبتسما ـ اليوم تكرهين الرجال •

لم تستطع مقاومة مشاعرها نحوه ، لفتت رأسها وقبلت راحة يده ثم أسندت هذا الجزء من رأسـها عليها وأغمضـــت عينيها • عندما نظرت اليه كانت نظرته مختلفة • نظـرة من يبادل المشاعر •

صعدت انغام راقصة من الجانب الآخر فى الحديقة • الليل والنغم وصحبته • ولمسته • ونظرته • حلو الوجود يجتمع • وسارا الى مكان النغم • يحوط كتفها بذراعـه وتحيـط خصره

بذراعها . وفى مكان محتجب عن العيون جذبها اليه . بدأت القبلات هادئة . ثم تحولت الى رغبة جامحة . ثم توقفت .

قال — كان لابد من هذا لاعادة التوازن ..

ابتعدت عنه . كادت تصفعه او تلعنه ، سارت صامتة .لم يكن هناك داع لهذه الكلمات العلمية الطبية .

فى منزلها بكت من الغيظ والحنق واحباط المشاعر . وقررت الا تذهب اليه . الجزء الهام من البحث انتهى ساعدها كثيرا ، ماعليها الا أن ترسل له بطاقة تشكره . لم تذهب اليه . بدافع عاطفى . العاطفة جاءت هكذا . وربما لانه ليس

فى حياتها آخر فانجذبت له .. وكانت تصرفاته العاطفية .. نحوها فقط لاعادة التوازن . عندما اختل توازن جسدها وهى تسحب الكتاب من مكتبته . وعندما اختل توازنها النفسى من حكايات المنحرفات رجل يتقن عمله . حتى قبلاته المحمومة كانت جزءا من العمل !..

● ●

بعد فترة زمن قصيرة جاءها صوته . لأول مرة يطلبها هو. كانت طوال فترة عملها معه تطلبه هى أحيانا بحجة سؤاله عن شىء فى البحث . وأحيانا لتأكيد موعد ذهابها اليه فى مكتبه ..

قال — وصلتنى بطاقتك أشكرك

— أنا الشاكرة
— بأى شىء اذا ..
— اكتشفت شيئا هاما اريد ان أقوله لك .
— انتهيت من البحث وقدمته لمكان عملى . لم أنس ذكر اسمك فى المقدمة .
— اكتشافى لايتعلق به ..

ـ لاينفع الحديث هكذا ٠٠ لنلتقى فى مقهى الحديقة التى
٠٠ قالت مقاطعة ـ انتهيت من البحث وعاد لى توازنى ٠

ـ أريد أن أحدثك عن مشاعرى

ـ لست مستعدة أن ٠٠

قال مقاطعا ـ مشاعرى نحوك انت ٠٠

قالت بعد فترة صمت ٠

ـ اليوم نلتقى ٠

أحيانا أحلام الليل تتحقق فى اليوم التالى

كلما اتذكر حلم ليلة الامس ابتسم • او يخفق قلبى • لماذا وجه هذا الرجل بالذات ! التقى به ثلاثة أيام فى الاسبوع فى هذا المعهد للعلاج الطبيعى • لم أكن اعرف سوى اسمه الاول عندما يأتى دورنا فى التمرينات وعلاج الكهرباء تمريناته مثل تمريناتى • أثر التواء فى قدمينا • ندخل حجرة واحدة تفصلنا ستارة قماش • كل معه ممرضة • والطبيب يمر لملاحظة العلاج • أحيانا يتأخر وأبدأ التمرينات قبله ، وعندما أسمع صوته وأعرف انه جاء أشعر باطمئنان •

أحببت صوته الهادى •• فى يوم سمعت صوت رجل آخر يحتل مكانه فتضايقت • وسألتنى الممرضة لماذا لاأحدثها ذلك





اليوم • خيل الى اننى كنت لاأحـدثها هى طـوال الجلسـات السابقة • بل كنت أحدث الرجل الذى تفصلنى عنه الستارة القمـاش ••

فى يوم وقفنا طويلا ننتظر سيارة اجرة ولما جاءت واحدة عرض على انيوصلنى • تعارفنا • عرفت انه طبيب • يومها قلت • ظننتك مهندسا ، ضحك وهو يسألنى لماذا ••؟ قلت: لاأدرى • وأصبحنا نتبادل بعض الكلمات •

أحيانا يمر بخاطرى فى احلام يقظة اننى قابلته صدفة فى مكان أو جلسنا نتحدث حديثا أطول • لكن أن يأتى الى فىحلم بصورة واضحة ؟!! ابتسمت وأنا أتذكر حلم ليلة الامس •

كيف ساواجه نظراته اليوم !· ربما لأيأتى · تكون فترةعلاجه قد انتهت ولن نلتقى بعد حلم ليلة الامس · لكنه جاء · جلس في مقعده أمامي في حجرة الانتظار · تبادلنا التحيـة · كنت أدخن سيجارة فقدمت له واحدة ·أشعلها · نظرت الى شفتيه· تماما كما كانتا تسحبان الدخان من سـيجارة ليلة الامس · ابتسمت · كادت ابتسامتى تكون ضـحكة · سألنى : ماذا ؟ هززت رأسى : لاشيء :

كان لقاء عجيبا فى حجرتى · وعـلى فراشى · كان يدخن سيجارة بعمق · أخذتها منه وضـعتها فى منفضـة بجانب الفراش · ثم اصبحت شفتى بدل السيجارة بين شفتيه ·أظن « فرويد »هو الذى ربط التدخين ووضع السيجارة بين الشفتين بالرغبة الجنسية · وأظن انه الذى فسر هـذه الاحلام بهذه الرغبات · لكن · لماذا هذا الرجل بالذات !

قال الرجل أن آخر جلسة تمرين له هى اليوم · وقلت انها أيضا بالنسبة لى آخر جلسة ·· غرابة حلم ليلة الامس تغلبت على حزن الافتقاد فابتسمت · كادت ابتسامتى تكون ضحكة · سألنى : ماذا ؟ هززت رأسى : لاشيء ·

كان الوقت بعد منتصف الليـل · وكان هـذا الرجل فى فراشى · عندما دق جرس الباب·قلت له :« لاأحد يأتينا فىهذا الوقت · أمى واخوتى الصغار نائمون · فهل يعرف أحد انك عندى !؟» قال : «لا ··» سألته ان يختفى فى الشرفة الى أن أرى من بالباب · كانت جارة تسألنى ان أعطيها كوب ماء · أعطيتها وعدت اليه وجدته يتحدث فى التليفون · وضعت يدى على فمه حتى لايسمعه احد فى البيت ويصحو · واحترت كيف سيخرج وجارتى مستيقظة ·· فكرت أن ينـزل من الشرفة · لكنى خفت أن يقع مرة اخرى على قدمه المصابة فتتكسر هـذه المرة ·· وبين حيرتى وفرحتى بوجوده استيقظت · كان جرس التليفون يدوى ·· أضأت النور وقمت مذعورة : آلو ·· هالو · من ؟ لم يرد احد · وكانت صورته مازالت مجسمة فى عينى فقلت لابد انه هو ··

سألته ـ هل طلبتنى فى التليفون بعد منتصف ليلة الامس؟
قال منزعجا ـ أنا لا أعرف رقم تليفونك • وحتى اذا كنت أعرفه فهل أطلبك فى مثل ذلك الوقت !

قلت ـ دق جرس التليفون كثيرا • قمت مذعورة • لم يرد أحـــد •

ابتسم وسألنى بدهشة :
ـ ولماذا ظننت اننى أنا بالذات ؟
تذكرت حلم ليلة الامس وابتسمت •

أنا أيضا تساءلت : لماذا انت بالذات ؟

هز رأسه متعجبا •

جاءت الممرضة نادت اسمينا • دخلنا الى حجرة العلاج • استقبلنا الطبيب بابتسامة وقال ان جلسات عـلاجنا انتهت من الاسبوع الماضى وسألنا هـل حضرنا لاننا مازلنا نشـعر بتعب فى قدمينا • كل منا حرك قدمه بســـهولة • أخبـرنا الطبيب ان نستمر على وضع الرباط الضـــاغط أسبوعين • ونصحنا اذا شعرنا بتعب أن نعود اليه • خرجنا من الحجرة ونحن نتبادل ابتسامة • هذه المرة لم أستطع منع ضحكتى • وضحك هو أيضا •

سألنى ـ هل كنت تعلمين ان جلساتنا قد انتهت ، لذلك كنت تكتمين ضحكاتك منذ رأيتنى ؟!

هززت رأسى بالنفى • وسألته اذا كان هو يعلم!
قال ـ ربما هو التعود ان احضر هنا اليوم فجئت • أكثر من شهر الآن نحضر ثلاثة أيام معلومة بعد الظهر كل اسبوع• هو التعود لاأكثر ••

خرجنا الى الطريق ، لكن شيئا آخر جعلنى أحضر اليوم • منذ الصباح وأنا أريد ان أراه • لم أفكر فى انتهاء جلســات العلاج منذ أسبوع • كان كل تفكيرى اننى اريد ان ارى زائر حلم ليلة الامس • لكن لماذا جاء هو أيضا ؟!
قال ـ هل عندك وقت نأخذالشاى فى مكان •• عندى وقت

ساعتين الى أن يأتي موعد عملي . آسف . كان لابد أن أسألك هل لديك مانع قبل ان أسألك هل لديك وقت .

ابتسمت .. وكدت أقول . لماذا هذه الكلفة وقد كنت في فراشي ليلة الامس ! . كادت ابتسامتي تكون ضحكة . وافقت . أمي دائما تقول : ويسبب الاسباب . بالرغم من موت أبي المبكر وتركه أربعة أنا كبيرتهم . الا انها لم تفقد الصلابة والايمان . معاش أبي لايكفينا . وكثيرا ماأقبل عملا اضافيا لأزيد دخلي . تركت الرجل الذى أحببته عندما أفهمني ان غلاء المعيشة لن يسمح لى بمساعدة اخوتي . شعرت انه يكرههم . وهم يخافون وجوده . لم أحتر بين الواجب والعاطفة . فقد بدا لى حبه مجرد كلمات .. اننا نعرف اخلاقيات الناس من مواقف وتصرفات . وينقلب الحب الى كراهيه أو الى لاشيء على الأطلاق . وأصبح لاشيء على الاطلاق . حزنت أمي واعتقدت انهم سيضيعون مستقبلي . لكنني كنت أكثر تفاؤلا . ولم احزن أو أندم انني تركته او انني أعتني باخوتي الصغار . والذى خفف من حزن أمي كلماتها .. ويسبب الاسباب .

وهكذا سبب الاسباب . انني وقعت على قدمي وتورمت فذهبت الى هذا المعهد للعلاج الطبيعي لأقابل رجلا آخر وقع على قدمه وذهب لنفس الاسباب . وهاأنذا أجلس أمامه في مشرب شاى . لاأعرف عنه شيئا . سوى اسمه وانه يعمل طبيبا في شركة وأن قدمه حدث لها التواء . يكبرني قليلا . أظن انه في أواخر الثلاثينات .

سألته مباشرة ـ متزوج ؟

ـ كنت ... لى طفلة في حضانة جدتها لأمها .

ـ الطفل يربط الوالدين . لابد أن تعودا يوما ..

هز رأسه بالنفي . قال : هي تزوجت آخر .. وانت ؟!

ـ كنت مخطوبة فقط .

ـ وماذا حدث . أعجب بأخرى فتزوجها ؟!

هززت رأسي بالنفي وقلت له باختصار شديد عن الاسباب . أمسك يدى بين يديه وفوجئت انه يلمسها بشفتيه ويتمتم

بكلمات عن النبل والاصالة · لم أتبين الكلمات · وشعرت بهذه الخفقة الساخنة تسرى من قلبى الى جسـدى · هذه التى أستشعرها على فترات منذ الصباح · كلما تذكرته · كتب رقم تليفونه · كتبت رقم تليفونى · وقال ضـاحكا انه الآن يستطيع ان يطلبنى لكنه لن يفعل هذا فى وقت مزعج اويضع السماعة دون ذكر اسمه ·

ثم سألنى مرة أخرى :
ـ لماذا فكرت اننى أنا بالذات الذى طلبتك ليلة الامس !
ابتسمت وأنا أتذكر الحلم ·
ـ أنا أيضا تساءلت ·· لماذا أنت بالذات !
ـ من أى شىء تحاولين اخفاء ضحكاتك اليوم ؟
ـ لا شىء ··
ـ سأعرف يوما ·
قلت ونحن نتبادل السلام ·· ربما ·· ولم أستطع اخفاء ضحكتى ·

أيام البطولة

جلس على مقعده المفضل ، فى الشرفة التى تطل على حديقة منزله • هذه جلسته المفضلة ومع ذلك لم يشعر بارتياح • كان قلقا •

هذا النوع من القلق الذى يعترى انسانا لايستطيع انيقدم كل ماكان يتمنى أن يقدمه فى أوقات عصيبة • قرأ الجريدة مرة أخرى وعاد اليه الشعوربالغيرة • اذا كانت كلهذهالمعدات

الحربية السليمة معهم فى ذلك الوقت ! وكان عدد الجيش متوفرا • تساندهم الدول العربية المتضامنة ويؤيدهم العالم!• لكن سنة ١٩٤٨ كان العالم خربا والسلاح الذى حارب به كان خربا • على أى حال كانت تلك الظروف القديمة حافزا مساعدا



لقيام الثورة ومع ذلك لم يستطع الاشتراك فى شىء حيـــوى فيها . اصابته منعته من الظهور فى الصورة .. وترك الخدمة فى الجيش وكاد يترك الحياة كلها .

نظر بامتعاض حيث دائما ينظر الى بيت البط فى الحديقة . وجد كبيرا العائلة خرجا الى حوض الماء الذى صـنعته زوجته وانتظر ان يخرج الآخرون بخطواتهم الكسولة المرتاحة .. نوع البط هذا الذى لايستطيع الطيران يثيره بهدوئه والسلام الدائم الذى يعيش فيه بكسله . أحيانا يجد البطة نائمة وهى فوق مياه هذه البحيرة الصغيرة . طائر كسول غبى . فى صـمته أحيانا كان يشبه زوجته بطيورها .

ابتسم عندما وجد نفسه قلقا لعدم ظهور عائلة البط كعادتها لتذهب الى البحيرة وتنام فوقها • قام من مقعده • أخذ عصاه هذه التى يتوكأ عليها قبل ان يضطره عمره لها • ذهب الى بيت البط ولدهشته لم يجد العائلة • نادى الجناينى وسأله عن الخبر فقال له بحماس • «الهانم تبرعت به للجنـــود» دهش وفرح في نفس الوقت • أن كل مايحدث هذه الايام يثير دهشته وفرحته أيضا • الناس تعطى بسخاء كل ماتستطيعه •

كان يود أن يعطى أكثر من النقود التى دفعها • كان يتمنى أن يحارب معهم وتكون روحه مرتفعة بالقوة المعنوية لشعوره أن ناسه وراؤه • فى تلك السنة البعيدة لم يكن أحد وراءهم مثل مايرى الآن • الايام تغيرت • زوجته أيضا تغيرت • لم تعد مثل البط الذى تبرعت به • هادئة كسولة مستكينة للحياة التى اختارها هو لها •

بعد اصابته التى كادت تفقده حياته وجد السلوى فى حمل مسئولية الارض التى تمتلكها العائلة • انهمك فى اصـلاحها وأصبحت حياته كلها • قرر ألا يرتبط حتى لايعذب انسانة بجانبه • لكن الحياة بلاحب ليس لها معنى • والحب بلاأمـل مرض • وتحت ضغط الحبيبة والاهل ارتبط • أعوام طـويلة عذبها بخوفه وغيرته • كان شرط الزواج ألا تعمـل • وهى لحبها له قبلت • ثم حاولت ان تقنعـه • وكانت المشـاحنات والتهديدات بالانفصال فصمتت واستكانت بجانبه • وبدأت فى هواية تربيـة الطيور • كانت عائلة البط آخـر هواياتهـا هــذه •

كان يحكى لها عن البطولات التى قام بها والتى رآها وتخيلها • لكن ها هى الآن تخرج كل يوم تخدم الجرحى وتعود اليه فى المســـــاء لتحكى له هى عن بطولات حقيقية وناس حقيقيين وأصبحت بطولاته لاتساوى شيئا بجانب هذه البطولات الحديثة لكنه كان بطلا • الوسام المعلق فوق مكتبه يذكره •

عندما بدأت حرب اكتوبر كانت زوجته تستمع باهتمام الى كل الاذاعات وتسأله فى أمور الحرب كمحارب قديم ، لكنه

كان لايجيبها اجابات تشبعهاولايهتم أن يحدثها على الاطلاق في أمور ظن أنها أكبر وأعمق من ان تفهمها زوجته .. وذات صباح وجدها في رداء أبيض . قالت له انهـا تطوعت لخـدمة الجرحى . حاول أن يعترض فقالت له بحزم أول مرة يجده في صوتها ! هل نسيت انك كنت جريحا .. فصـمت . كيف ينسى . وساقه اليمنى يعينها بعصا . كيف ينسى هذه العلامة الغائرة في عنقه .

جلس على مقعده المفضل ووقعت عيناه على كبيرا عائلة البط اللذين تركتهما زوجته . شعر انه مثلهما لايستطيع أن يؤدى خدمة حيوية . سنين طويلة عذبها بخوفه وغيرته والآن حدثت للناس صحوة وكثيرون يعيدون النظر في حياتهم . لابد أن هذه الصحوة أصابتها وأعادت النظر في حياتها .

لم يحتمل وحدته . خرج الى أصدقائه . في المقهى لم يجد أحدا . ذهب لزيارة أهله وبقى اليوم في محاولة نسيان ماذا تفعله زوجته ! لكنه لم يستطع . ذهب الى المستشـفى التى قالت له انها تخدم فيها . عندما شاهد الحارس بطاقته ألقى عليه تحية عسكرية . ودخل الضابط المتقاعد يبحث عن زوجته في عنابر المرضى .

نساء كثيرات غير الممرضات يقمن بالخـدمة .. عنـدما كان راقدا في المستشفى في تلك السنة كان أهله فقط يزورونه . وممرضـة واحدة ترعى عشرين . نظـر الى النساء الكثيرات بدهشة وفرحة أيضا . ولمحها تمسك في يدها كتابا وتقرأ لجريح رأسه ويداه محاطات بأربطة . لمحها وهى ترد على سؤال من الرجل . لمح في عينيها نظرة حب لم يرها من زمن . هذه النظرة التى قتلها هو . بخوفه وغيرته . شـــعر بألم يعتصر قلبه . ولمحته .. أشارت له وسألته ان يشعل لها سيجارة . كاد يسألها متى بدأت تدخن لكنه صمت . وضعت السيجارة بين شفتى الجريح وقدمت زوجها له . أرادت أن تحكى عـن بطولاته القديمة واصابته . لكنه أسكتها وطلب أن يستمع الى البطولات الحديثة .

بدأ الجريح يتحدث وتعجب عندما وجد ان غيرته من نظرة زوجته للرجل تحولت الى غيرة حقيقية انه لم يكن معه ٠
في الطريق المظلم سارا صامتين ٠
قال ــ اذا وجدت عملا مناسبا يمكنك أن تعملى ٠ أناعذبتك كثيرا بجانبى ٠

نظرت اليه فى محاولة فهم ماذا يدور فى رأسـه ولم تدر ماذا تقول له ٠

سارا صامتين ٠ لايسمعان سوى صـوت خطواتهما ودقة عصـاته ٠

قال : اذا كنت تعرفين آخر وتريدين تغيير حياتك معه لن أمنعك ٠ أنا لم أعطيك كلماترغبين ولا اريدك أن تبقى بجانبى مشـفقة ٠

تعلقت بذراعه وضحكت ٠ نظر اليها بدهشة ٠ ووجد فى عينيها بريقا من ضحكتها ومن نظرة الحب التى كان قد قتلها٠ ابتسم بفرحة ٠ ان الاشياء التى تثير دهشتهو فرحته كثيرة هذه الايام ٠

نلتقي في هذا الموعد

قال ـ تأخرت هذا العام ٠
ـ الربيع تأخر ٠٠
ـ والحقيقة ٠؟
ـ لم أكن أتوقع أنك تنتظرني ٠
ـ بعد كل هذه السنين لا أنتظرك !؟
ـ بسبب كل هذه السنين لاتنتظرني !
ـ منذ متى ونحن نلتقي في هذا الموعد
ـ أربعة عشر عاما او أكثر ٠
ـ خمسة عشر عاما ٠ ولاحظت انك في السـنين الاخـيرة تتأخرين عن موعدنا ٠



ـ مشاغل الحياة ..
ـ والحقيقة ؟
ـ بدأت أشــك انك تنتظــرنى . أو تجاملنى . لا أحب المجاملات فى المشاعر . ولماذا أنت لاتتحدث ؟

ـ تعودت أنك أنت التى تدعوننى كل ربيع . والحقيقة أنا أيضا أحيانا أشك انك تنتظريننى . او تجاملينى .
ـ اننا نكبر ..
ـ نكبر معا . وسنظل نلتقى الى أن تنتهى حياتنا . أليس كذلك ؟.

ـ واذا رحلت قبلك ؟

ـ سأحضر الى مكاننا وستكونين معى بروحك ·
ـ سأفعل هذا اذا أنت رحلت قبلى ·
ـ ماهذا الحديث عن الفناء ! التقينا لنحتفل بربيع حياتنا الذى دائما يتجدد ·
ـ نحتفل بربيع الطبيعة · لا أكثر ·
ـ بالرغم مـن مسحة التشاؤم التى بلا مبرر · أنت كما أنت · كما جئنا هنا من خمسة عشر عاما ·

● ●

نعم أتذكر ·· كان الجو رائعا مثل اليوم ورائحة الشجر المورق والازهار فى الحديقة الصغيرة المقابلة لمكان عملنا تتحدى الجدران وتداعب أنوفنا كان منهمكا فى عمله وكنت منهمكة · لكن فجأة شعرت بانهاك من الاوراق أمامنا · قلت له : ماذا لو انتهينا من هذا الورق وخرجنـا الى المزارع · الى الطبيعة · أشـعر برغبة عجيبة ان أجرى فـوق زرع أخضر وأنام تحت شـجرة · أشعر برغبة أن أحقق هذا معك أنت ·· نظر الى طويلا وقال لنفعل ·· بسـيارته العتيقة التى كنا نضـحك منها جئنا الى هذا الموقع · جرينا واستلقينا تحت شجرة تماما كما رغبت · وكانت قبلتنا الاولى · لم نتعجب لهـذا الشىء الجديد الـذى حـدث لزمالتنا وصداقتنا · كان نداء الطبيعة أقوى من أن نتعجب ·

● ●

قلت ـ رائحـة الزرع وتفتح الطبيعـــة تسرى فى نفسى وجسدى ·
ـ أنت كما انت ··
ـ أريد ان اعرف ماذا يقول حارس البيت العجوز عنى !
ـ زائرة الربيع التى لاتخلف موعدها ·

● ●

فى ذلك اليوم على جانب الطريق المشجر وجدنا هذا البيت الصغير الابيض · قال انه يود أن يمتلك مثله · سأل الرجل الذى كان جالسا على بابه لمن هذا البيت ؟· قال انه للايجـار

صاحبه بنى آخر أكبر وترك هـذا لمن يريدة عشرة جنيهات بأجرة الحارس • قلت بمرح • ادفع خمسة وأنت خمسة • قال الحارس أنه سيحضر لنا عقد البيت وعلينا أن نذهب له في اليوم التالى • قلنا سنحضر وسرنا • لكننا لم نذهب• ولم نتحدث بعدها عن البيت • وانشغل كل منا بحاله وعمله• وفى العام التالى عندما جاء الربيع ودغدغت رائحته حواسنا• قلت له : ماذا لو ذهبنا الى حيث كنا فى الربيع السابق • قال أنه كان ينتظر بشوق دعوتي • وذهبنا • مررنا بالبيت الصغير • قال يبدو انه مازال خاليا • نظر الينا الحارس طويلا وسألنا لماذا لم نحضر كما وعدنا ؟ • تعجبنا لتذكره وسألناه هل مازال خاليا • قال انه وعدنا أن ينتظرنا • قلت • لابد أن أحدا لم يأت ليؤجره • فرمقنى بنظره مؤنبه وقال انه وعدنا • وانتظرنا ومازال العقد فى جيبه • أخذنا العقد ودخلنا البيت • بمفروشاته البسيطة سعدنا • وتعلمنا من الرجل البسيط كيف نحافظ على وعودنا • وكان لقاؤنا الاول ، لم نتعجب لهذا الشيء الجديد الذى حدث لزمالتنا وصداقتنا واعجابنا • كان نداء الطبيعة أقوى من أن نتعجب » •

● ●

قال ـ لاتدرى فرحتي عندما يأتي الربيع وتأتي زائرته •

ـ أحيانا يخيل الى انك نسيتني أو انني نسيتك • انشغالنا بحالنا وعدم وجودنا الآن فى مكان عمل واحد •

ـ عندما أشم رائحة الربيع يخيل الى انني أشم رائحتك أنت • وأخاف ألا تحدثيني • تكوني مثلا ارتبطت •

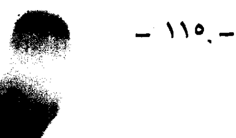
ـ تأتيني نفس المشاعر والمخاوف نحوك •

ـ لماذا لاتحدثينني دائما •• او لاأحدثك انا ••؟

ـ ربما نريد ان تبقى مشاعرنا كما هى • ونلتقى مرة كل ربيع • او مشاغل الحياة تجرفنا •

ـ كيف تعيشين حياتك الآن • ؟

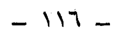
ـ الاهل يرحلون أو يتفرقون • الأصدقاء ينشغلون بمشاكل حياتهم وغربتى فى هذا العالم تزداد حتى انني كثيرا ما أجد



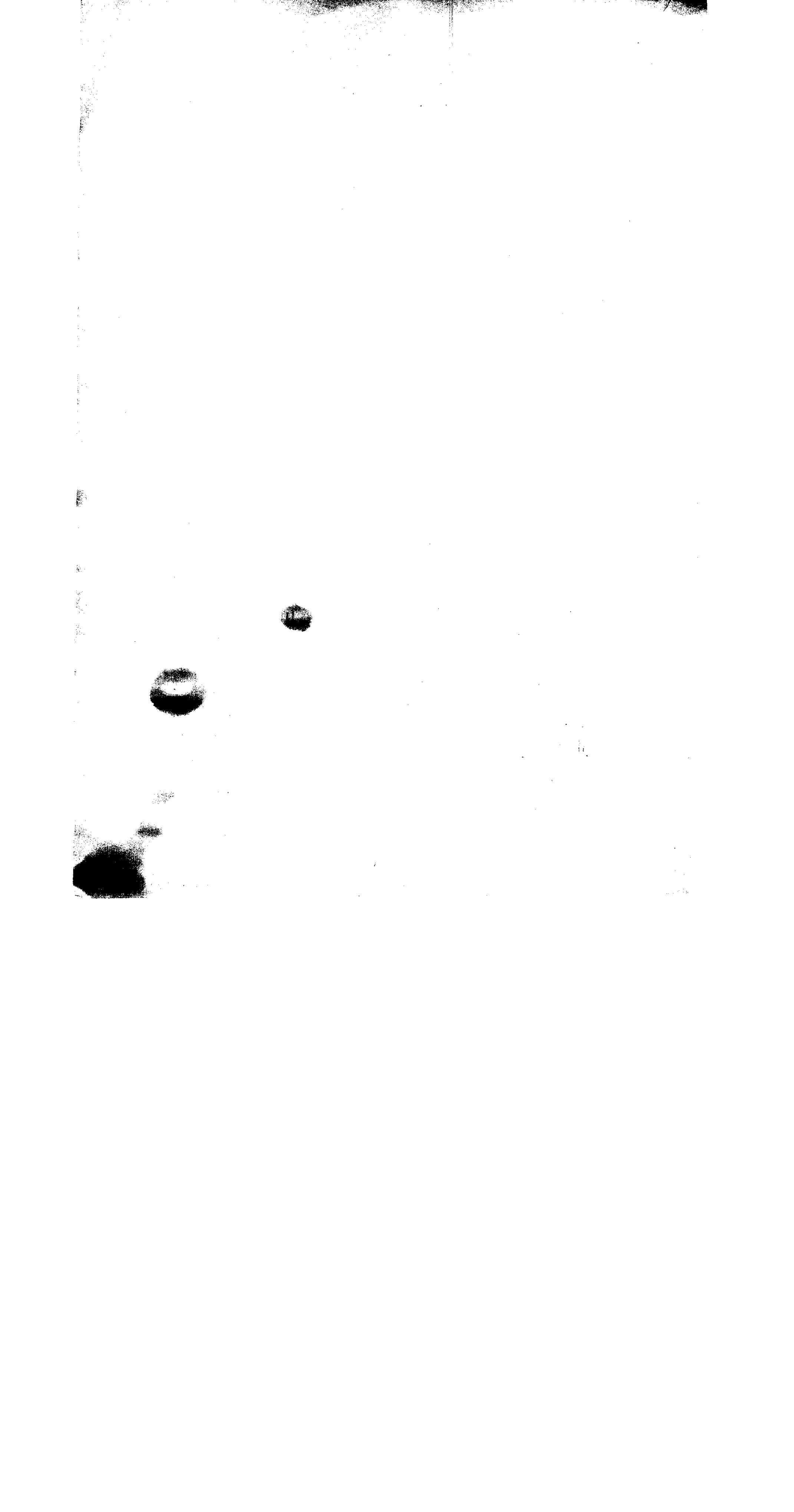
اننى غريبة حتى مع نفسى .
— اصبحت فى حاجة الى صحبة دائمة . حقيقية اقول لك سرا أنت الشىء الوحيد الحقيقى فى حياتى .

— وأنت الحلم الحلو الذى يزورنى كل ربيع ويعطينى القوة على الاستمرار .

— ماذا لو عشنا معا كل فصول الطبيعة .
— ربما تتغير مشاعرنا او نزهق من وجودنا . او نندم .
— نخاف على مشاعرنا الحلوة . اننا جبناء او بخلاء .
— أنت فى حاجة الى صحبة دائمة . وأنا فى حاجة الى من يخرجنى من غربتى . حقيقة .. لم .. لا ..؟!



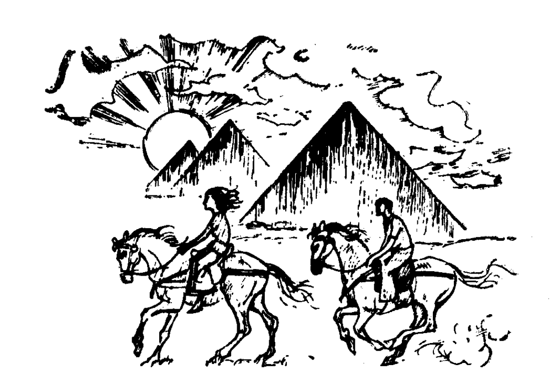
ياحارس البيت العجوز . قررنا ان نرتبط ونشترى البيت هل تبارك ارتباطنا .. ؟ . ابتسمت تجاعيد وجه الرجل لكن نظرته كانت شاكة . واختفى عنا . عاد ومعه رجلان . موثق عقود . وصاحب البيت . قال العجوز مبتسما انه لا يضمن عمره لعام قادم !. ويريد ان يطمئن علينا وعلى من سيهتم بالبيت بعده . ونفذت ارادته قرارنا .. لم نتعجب لهذا الشىء الجديد الذى حدث لزمالتنا وصداقتنا واعجابنا وعلاقتنا .كان نداء الطبيعة أقوى من أن نتعجب .



نجرى فى الصحراء نرقص للصباح

عندما اخذت حقيبتى وقمت ٠٠ نظر الموجودون فى الحجرة الى وسألتنى زميلتى . أين سأذهب . هـــل لدى عمل فى الى خارج ؟ قلت أشعر باختناق وسأقف فى الشرفة ، ولم أفكر جديا أن أحضر الى غرفة هذا الفندق العتيق على أطراف المدينة لآخذ أنفاسى براحة . دفعنى الاختناق الى الهروب من المدينة كلها وليس من الحجرة المزدحمة فقط ٠

جلست باسترخاء ٠ طلبت من الرجل مشروبى المفضل ٠ نظرت حولى الى الوجوه القليلة والتقت عيناى به ٠ هل هو ٠ نعم هو ٠٠ اذا كان بيننا موعد ماكان جاء فى موعده ٠ كانت لديه مهام كثيرة ، يأتى فى النصف الاخـير من الفيلم ٠٠ أو



يعتذر فى آخر دقيقه عن موعدنا · وكانت عنده أعذار كثيرة ·
شبه ابتسامة على شفتيه · نعم هو · ابتسمت · قام من مقعده · جاء الى · مد يده بالسلام ·· وطافت عيوننا بوجهينا ·

قال ـ تنتظرين أحدا ·
ـ لا ··
أمسك بالمقعد الذى أمامى كاد يجلس ثم أعتدل ·
قال ـ هل يمكن ان أجلس معك ·
ـ ممكن ··
تعمقت التجاعيد فى وجهه ·· خفت غزارة شعره · لم يعد يرتدى بدلة كاملة !

قال كما كان يقول من زمن ٠

ـ هل تدرين أنت فى صحبة من ؟

ـ فى صحبة صاحب السعادة الصعلوك ٠

ـ الآن ردك حقيقة واقعة ٠٠ هل تدرين انك أصبحت أكثر جمالا ٠

ـ لم أكن جميلة يوما فى عينيك ٠

ـ لم نتقابل من زمن ٠

ـ أكثر من عشر سنوات ٠

ـ رأيتك منذ حوالى تسع سنوات فى ليلة رأس السنة ٠ أنت لم تريني لأظن انك رأيتيني ٠ كان المكان مزدحما وكلما نظرت اليك لاتلتقى نظراتنا ٠

ـ رأيتك بطرف عيني ، كنت تجلس مع مجموعة من الاسماء اللامعة ٠ وكانت بجانبك ٠٠ عرفتها من صورها فى المجلات ٠ الجميلة ابنة صاحب المركز الكبير ٠ وزوجة الصعلوك ٠

ضحك ٠ قال ـ من الذى كان يراقصك ٠

ـ لا أذكره ٠٠ كنت أتابع أخبارك وأراقب صعودك و ٠٠

ـ لا تذكريني بالذى حدث ٠

ـ أحيانا الطموح يكون مخطئا ٠

ـ قلت هـذا لى يوما ٠ وأحضرت لى رواية مازلت أذكر اسمها ٠٠ الطموح المخطىء ٠٠ من كاتبها ٠

ـ البرتو مورافيا ٠

ـ وثرت عليك وعلى هذا المورافيا ٠٠ غضبت منى ولم أجدك بعـدها ٠

ـ ألقيت الكتاب فى وجهى وأنت تقـول ان طموحك لن

يخطيء .. وكدت تخنقني وأنت تصرخ لاتقفي في طريقي .. فابتعدت غير نادمة .

ربما كنت منفعلة وأنا أتذكر هـــذا المشهد بيننـــا وكنت أتحدث بيدى بانفعال . أمســك يدى بين يديه . صـــمت . حاولت ان أبتسم .

قال ـ وقلت لك سترينني بعـد عشر ســنوات . هه .. هانا .. كانت غلطة صغيرة لم أحسب حسابها .

ـ وذهب كل شيء .

ـ حتى الزوجة .. ساقول لك شيئا . صدقيه أو لا .. في تلك الفترة المؤلمة من حياتي لم أرد أن أحدث أحدا في هـذا العالم غيرك . ترددت على الاماكن التي تحبينها .. سرت كثيرا في طرقات المدينة .. ربما أراك صدفة . لم أستطع ان أطلبك في مكان عملك .

ـ المفروض انك لاتريد أن تحدثني انا بالذات .

ـ كنت اريد ان احدثك انت بالذات . ربمـــا لانك كنت الضمير الحي الذى رفضته وخفت منه .

ضحكت ..

قال ـ افتقدت ضحكتك .. تغيرت نظرتي للحياة والاشخاص، مثلا كنت أعتقد ان الرجل الذى سيكون في مركز مرموق لابد أن يختار الزوجة الجميلة الجاهلة حتى لاتناقشه وتتعبه بآرائها . يكفي ان يزين بها بيته ويضعها في عروة جاكتته . نظرتي الآن تغـيرت .

نظرت اليه بطرف عيني ابتسمت .

قلت ـ لم تعد تداري كذبك .

ـ كنت تطلبين مني ان نفعل أشـياء ظننتها غريبـة .. او تؤثر على مركزى ، الآن أنا مستعد أن أفعل أى شيء من رغباتك الجنونيـة .

هززت رأسى .. الآن .

وقلت سارحة - (نركب خيل) . نجرى فى الصحراء .. نسافر فجاة . نرقص للصباح .
قام وأخذنى من يدى .. خرجنا من الفندق العتيق وذهبنا الى مكان تأجير الخيل . أخذنا حصانين . شعرت بفرحة كأنى مازلت فى العمر الذى فات . انطلقنا فى الصحراء .. منزمن لم انطلق بحصان هكذا . انحسر ثوبى عن ساقى وطارت خصلات شعرى فى كل اتجاه .

قال بصوت مرتفع - أشعر بسعادة هائلة .
أنا أيضاشعرت بها .وعندما عدنا تبادلنا نظرات متسائلة .. أى شىء سنفعله . أحاط كتفى بذراعه وسرنا الى سيارته .
قال - فى الليل سنشعر بتعب فى أرجلنا وظهرينا .. سيكون تعبا لذيذا . تتمتعين بسيقان نادرة .. لماذا كنت تخفينها .

- أنت فقط كنت لاترى .

جلسنا فى مطعم على طريق الصحراء ، فى ركن منه كأننا وحدنا . نشوة غريبة تلفنا .

قال - احكى لى عن حياتك .

- ليكن اليوم لنا .
- أحببتك حقيقة . لكنك .
وضعت يدى على شفتيه .
قلت - مافائدة ان أعرف الآن انك احببتنى . او تعرف اننى جننت بك .

أكلنا . تحدثنا .. تشابكت ايدينا . التصقت اكتافنا .. التقت شفاهنا .. وغربت الشمس ونحن مازلنا فى ركننا .
جلسنا صامتين فىسيارته .. نشعر .انه كانيوما رائعا. نعلم . اننا عشنا ساعات فى مشاعر أيامنا الماضية . ندرك . اننا لن نسطيع ان نعيش هذه الساعات دائما . لم يسألنى متى سنلتقى . ولم أسأله عن ارقام تليفونه لاحدثه .

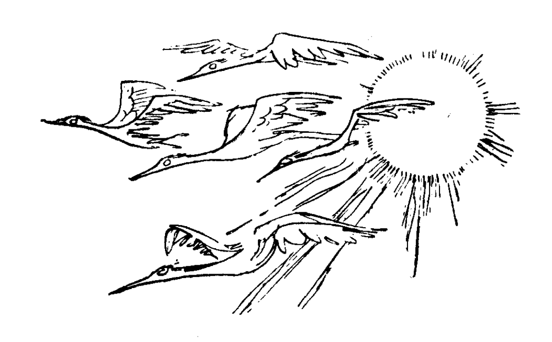
مسافر دائما

ـ مثل الطير المهاجر • لكنك تأتى بلا موعد محدد ، فـلا استطيع أن اعرف اذا كنا فى بداية الربيع ام نهاية الصيف •• من أين جئت هذه المرة •

ـ أحيانا بلاد العالم تضيق بى فأعود الى أرضى •

ـ ثم تضيق بك ارضك فتطير الى بلاد العالم •

مثل الطائر المهاجر جسده النحيل القوى يتحمل اسفاره • ونظراته الحادة عندما يغلق نصف عينيه ليرى بوضوح أكثر فى الفضاء الواسع • اذا كانت الطيور المهاجرة تعرف لغـات البلاد التى تنزل فيها لتعلمت لغات كثيرة مثله • لفت نظرى يوم تعارفنا • بحدة نظراته • بعدم استقرار نفسه • بهذه



العاطفة الدافئة التى تنبع من كلماته ٠ من لمساته فكل شيء يفعله بصدق مـع نفسه حتى سفره الدائم ٠ وتلك الرسالة الغريبة البعيدة التى ارسلها لى يوما ليعتذر عن موعد ٠

انتظره ٠ افرح برؤية الطيور المهاجرة واصـــواتها عندما تصل الينا اصوات رقيقة وقوية مميزة ٠ تعلن عن حضور أجمل فصول العام ٠ بأصواتها كانها تحكى عما راته فى طريق سفرها الطويل ٠ تحكى ، وتحكى ٠ افرح بصوته عندما ينادينى ٠٠ لنلتقى ويحكى عما رآه فى سفره ٠

احيانا ٠٠ كثيرا ٠٠ دائما ٠ يأتى فى لحظة من لحظات يأسى أو غمى أو قرفى . فاتعلق به كأنه الخلاص الذى يأتى الينا من حيث لا ندرى ، بمعجزة ليخلصنا من يأس أو ينتشلنا من غم

لكن دائمـا تذهب فرحة اللقاء بمرارة الوداع وتنتهى هـذه اللحظات ونعرف أن الموضوع ليس فيه معجزة لان المعجزات لم تعد تأتى ٠

ــ من سنين اريد ان اسألك لماذا دائما طائر ٠

ــ اريد ان ارى العالم كله ٠

ــ والحقيقة ٠٠

ــ « فى اول سن الشباب احببت زميلة فى دراستى ٠ بكل العاطفة التى يحتملها ويحملها قلبى وجسدى ونفسى ٠٠ ثلاث سنوات بعد تخرجنا لم تعرف قيمة ما اعطيـه لها وعذبتنى ٠ ارادت الارتباط فى وقت كان دخلنا لا يكفى بمرتباتنا الصغيرة نفرح يومين فقط كل اول شهر وبعدها نغتم من اين نصرف ٠ كانت تعذبنى بخطابها وطلبات والديها ٠ كانت لا تريد الانتظار ومع ذلك كانت تعذبنى ٠٠ قلت اذا كانت لا تستطيع أن تعطى الحب لماذا استمر ٠ لماذا لا ننتهى من هذا الالم المتواصل ٠٠ فى يوم قررت ان اهرب من مذلة حبى لها ٠ ومذلة مرتبى فى عمـلى ٠٠ بعد مشـاجرة جريت فى الطريق وانا ابكى ٠ لم تستطع أن تلحقنى ٠٠ من يومها وانا اجرى ؟ ٠ ؟

ضحكت ٠

ــ « اقسمت الا احب ٠ قررت الادع هذه العاطفة تستعبدنى فى تلك السنة البعيدة قبلت العمل فى مدينة اخـــرى لازيد جنيهين ٠ وقابلت فتاة مختلفة تماما عنها ٠ وجدت عواطفى تلح على ٠ تدفعنى اليها ٠ وجدت فيها كل ما اتمناه حقيقة فى حبيبتى اهمها المشاعر الانسانية التى لم اعرفها فى الاولى ٠ خفت من نفسى ٠ خفت ان أحبهـــا ٠ وخفت من حكاية ــ انهن كلهن سواء ــ أنا اعرف خطأى ٠ لكن ربما تعقدت حقيقة من العواطف قابلتها عدة مرات ثم ارسلت لها رسالة « عبيطة » من بوفيـه محطة ٠٠ استعرت قلم الجرســـون وكان يتعجلنى ليكتب طلبات زبائنه ٠٠ القيت لها الرسالة وركبت القطـــار ٠ من يومها وانا اركب القطار ٠٠ هل تذكرين رسالتى ؟ ٠ »

انكمشت ضحكتى واصبحت شبه ابتسامة على شفتى ٠

« ــ فى بلد احببت عينيك فى فتاة ٠ وفى بلـــد احببت ضحكتك فى واحدة وفى بلد احببت حديثك الحلو فى واحدة ٠

لكنى لم اجدك ابدا مكتملة الا عندما اعود والقاك ثم ارجع هاربا ٠٠ اجرى ٠٠ ارتبطت بواحدة احبتنى ٠ اعجبت بها فقط ٠ لم احبها ٠٠ هى فضلت الاستقرار فى بلدها مع اطفالنا ٠ تنتظرنى كلما تضيق بى بلدها واهيم فى بلاد العالم واحضر الى بلدى ثم ٠٠ أجرى ٠ » ٠

ـ لماذا الآن ٠٠ تحدثنى عن حبك ٠

ـ شعرت بسعادة حقيقية وانا اعترف لك بعد تلك السنوات يوم ارسلت رسالة الاعتذار كنت انوى ان أقول لك عن حبى ٠

ضحكت ٠

ـ تضحكين منى !

ـ أحيانا يلتقى اثنان بعد سنين ٠ كل منهما يقف وراء حاجز أو درع حياته الحالية ويقول للآخر انه احبه يوما ٠ وانه كان المفروض ان يكون هو ٠ لكن من المستحيل أن يكون هو الآن فحياة كل منهما تغيرت ٠ تشكلت ٠٠ اضحك لانى اعجبت بك يوما وكان يمكن ان أحبك انا ايضا ٠

ـ الآن تقولين هذا ؟ ٠

ـ ولماذا انت قلته ٠

ـ خيل الى انك لم تشعرى بى ٠٠ لكن الآن اشعر بحزن يعتصر قلبى ٠٠ ضيعت حياتى أجرى ٠٠ أهرب ٠ وانت هنا كان يمكن أن ٠

ـ لماذا تبكى ٠

ـ ولماذا انت لا تبكين !

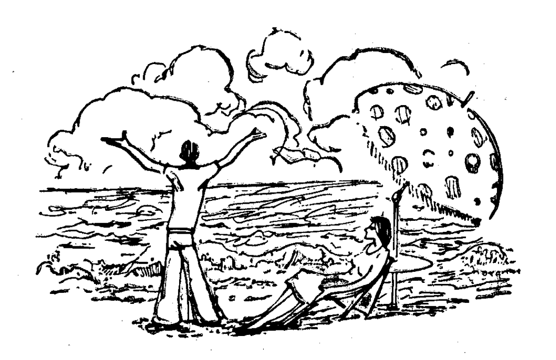
ـ اننا دائما نضحك ٠٠ كلما حضرت نمضى لحظات حلوة ونضحك ٠

حكى حكاياته الطريفه ٠ فى بلاد العالم الغريبه ٠ طفنا باماكن مدينتنا التى يحبها وضحكنا ٠٠ ودعته قبل ان يرحل بتمنياتى التى اعتدت ان اقولها له دائما ٠ لكنى وانا عائدة وحدى لم تملأ الابتسامة نفسى وانا اتذكر لحظاتنا معا ٠ مثل كل مرة ٠ كان صدى صوته فى اذنى يبتعد ٠ يبتعد مثل اصوات الطيور المهاجرة عندما تودعنا ٠ وبكيت ٠

٢+٢

صوت امواج البحر يخيفني ويطربني • لا احب الشاطيء في أخر الصيف • يخيل الى ان كل شيء فيه يصبح عبارة عن ذكرى • ذكريات اقدام • وصدى همسات • ورغبات • وأحلام ومقاعد ملقاه منهكة من كثرة ما حملت • وعامل البوفيه • يجلس بعيدا يحملق بكسل في الخلاء لم يعد يهتم ان يلبي طلبا •

الانسان دائما يبحث عن اخر يحبه • أن يكون محبوبا • ليضمه الاخر • بحنان • ليحيطه بالرعاية • ليكون بالنسبه له أهم محتويات الكون • أو على الاقل ليكون بالنسبة له من الأشياء المهمة • ليزيل غربته ليمسح دموعه وعرقه • ليسأله اذا سهر الليل عن قلقه • ليتحدث معه حديثا متفاهما •



ليعرف ما يضايقة وما يفرحه · ليتجنب ما يضايقه ويحاول أن يفرحه · ويظل الانسان يبحث عن هذا الآخر · وعندما يجده · آه عندما يجده هذا الذى يبادله حبه ·

وكان يسير بخطوات بطيئة وحيدا قدماه فى الماء تقريبا · والهواء يداعب شعره·راقبته وهو يسير بقامته الطويلة النحيلة كنت اريد أن اراقب شيئا اخر غير البحر والشاطىء الخالى وعامل البوفيه وافكارى · راقبته الى ان اصبح نقطه ·· بيضاء ·

ويظل الانسان يبحث عن هذا الآخر وعندما يجده · آه عندما يجده يقول للكون هذا الذى يحيطنى بالحنان ويضمنى بالحب أستطيع ان افعل أى شىء من اجله · واذا لم يجده ! ؟

عادت النقطة البيضاء من الافق البعيد . تكبر . توضح قامته الطويلة الى أن وضحت تماما . القى تحية لم اردها ونظرت بعيدا . جلس قريبا منى فوق قطعة من ذكريات الأقدام .

سألنى «وحيدة هنا» . لم أرد . حاولت ان اشعل سيجارة عود ثقاب وراء الآخر ينطفىء قبل ان اشعلها . اقترب منى احاط يده بولاعة واشعلت سيجارتى . عزمت عليه بواحدة . اخذها.

سألنى « من أهل هذا البلد » . هززت رأسى . لا .

قال« أهل البلد يحبون الشاطىء فى اخر الصيف . يشعرون أن حبيبهم عاد اليهم » .

سألته « من اهل البلد » هز راسه . لا .

قال « احب الشاطىء فى أخر الصيف . لانه يكون خاليا تماما من الموظفين . تكون اجازاتهم قد انتهت يوم اجازة الموظفين تجدين المواصلات مريحة ونظيفة . والمبانى التى يشغلوها هادئه ونظيفة . والطرقات الى حد ما هادئه . واذا كانت هناك أجازة رسمية يوم أجازة المحلات تكون الطرقات فى الحى التجارى خالية منهم فزوجاتهم لن يلححن فى النزول الى المحلات وصحبتهم معهم » .

أبتسمت . سألته ـ ماذا تعمل .

ـ أغنى .

تأملت وجهه وقلت ـ لم أرصورتك فى أى أعلان أو مجلة . تغنى هنا فى كازينو ؟

ـ لا . اغنى لنفسى .

ـ وماذا تصنع لتاكل .

ـ لا أحب ان اكل . أحب ان اغنى . هل أغنى لك ؟

هززت رأسى موافقه . وبدأ يغنى بصوت هادىء وهو جالس

ثم بيديه انفعل ثم وقف وارتفع صوته · يغنى بلغات كثيره ، مقاطع من أغنيات مشهورة وتحرك جسده مع الغناء · فرقص وطرقع باصابعه ودق الرمال بقدميه · صوته ليس جميـــلا لكنه قويا ويحضر اللحن بتمكن · اقترب منا عامـــل البوفيه ليسلي نفسه ·

ماذا يصنع هذا الرجل !؟ ملابسه نظيفة · بيضاء · لا تدل على التشرد لون بشرته لا يدل على سوء التغذية · الولاعة التى اشعل بها سجائرنا ذهبية · يعرف لغات كثيرة أم هو يحفظ مقاطع من اغنيات مختلفة بلغاتها . نصاب عالمى ! ماذا يعمل لماذا اهتم بما يعمل ·

عندما انتهى من الغناء والرقص صفقت له · وصفق له عامل البوفيه ايضا ثم سألنا ماذا نشرب · قهوة · شاى · طلبنا · جلس قريبا منى على مقعد قماش · فرد قامته باسترخاء · قال:

– حبيبتى هربت مع أقرب اصدقائى ·

أبديت له أسفى ·

قال – وانت لماذا وحيده ·

– حبيبى هرب منى لانى أعرف أكثر من اللازم ·

ضحك · قال – هناك حكاية عن راعى بقر أمريكى دخـل الى حانة وسأل رجلاكم تساوى ٢ + ٢ قال الرجل بلا تفكير أو تردد · أربعة · فضربه بالرصاص ورد على العيون المتسائلة لماذا قتله بقوله هذه العبارة المأثورة أنه يعرف اكثر من اللازم ·

ضحكت · قلت – معرفتى ليست أكثر من ٢ + ٢ = ٤

قال – والفرق بين حبيبك المتمدين وراعى البقر البدائى · الاخير يقتل مباشرة · أما المتمدين يجعلك انت تقتلين نفسك · كنت أسير أسلى نفسى بحديث صامت معها · وأتامل كل ماتقع عليه عينى · وعندما رايتك تحملقين فى البحر قلت انك تنوين الانتحار · ولما ابتعدتعنك وانا أتامل كل ماتقع عليه عينى ·

ظهرت صورتك أمامي وحديثي مع نفسي انك تنوين قتل نفسك فعدت لامنعك اذا وجدتك ٠

ابتسمت ٠ قلت : عدلت عن فكرتي

وهو يمسك فنجان القهوة بيده اليسرى ٠ علامة في أصبعه لخاتم زواج مخلوع ٠ ربما خلعه من لحظة ٠ أو تكون زوجته هي التي هربت ٠ ماذا يحدث لو وجد الانسان انه يحب الآخر فقط دون أن يرد حبه ! هـل يكره الانسان نفسـه . أم يكره حبيبه الذي أحبط مشـاعره ٠ وهـل يمكن أن يتحول حبه الى كراهية ٠ فجأة ٠ لايمكن ٠ بالتدريج . ممكن ٠ دون أن يدرى ممكن ٠

سألني ـ ماذا تعملين في الحياة ٠

ـ لا شيء أتأمل ٠ وادخن ٠

ـ فنانه ٠ كاتبة ٠ رسامة ؟

ـ ربما احاول يوما ٠

ـ لابد ان تبدئي من اليوم ٠ أنت ولدت من جديد اليوم ٠ الم تحضري هنا لتقتلي نفسك ٠ ثم جلست تتأملين كل هـذا الجمال حولك ٠

ودخنت سجائرك ثم عدلت عن قصدك ٠ ومادمت لسـت موظفة ستبدعين فنا ٠٠ أحلم بمدينة لا يوجد بها موظفين ٠

ـ لماذا لا تذهب الى جزيرة صغيرة في محيط كبير ٠

ـ حلمي الاكبر ٠

وبدأ يغني من جديد ٠ بصوت منخفض ٠ نظرت في ساعتي بقيت نصف ساعة وينتهي حبيبي من العمل الذي جاء من أجله سأقابله في مكان حددناه في المدينة لنمضي بقية اليوم معـا ونعود في المساء . عندما سألني أن اصاحبه في رحلة القطـار الطويلة ٠ هربت من عملي المرهق في الحسـابات وصحبته ٠ وفي قطار الصباح المبكر وضعت رأسي على كتفه ونمت احلم

بعالم مريح بلا ارقام والات حاسبة . هذه التى تدق فى الراس مثل المسامير فأريد ان احطمها أو احطم رأسى وعنـــدما فتحت عينى تأسف لانه أزعجنى بمصاحبته تعلقت بذراعه وقلت اننى نمت نوما مريحا · وحلمت بعالم جميل بلا أرقام ·

فسألنى · لماذا لا اغير عملى !·

أخذت حقيبتى وقمت · عندما يجد الانسان من يحبه · آه عندما يجده يقول للكون هذا الذى يحيطنى بالحنان ويضمنى بالحب · استطيع ان افعل أى شىء من اجله · تركت خيالى على الشاطىء وسرت · رفع الغريب ذراعه فى الهواء ملوحا بيده مودعا · وهو مازال محلقا فى خياله يغنى ·

ثلاثة وجوه لرجل

العلامة .. والمرآة الثالثة

كانت صورته بجانبى . على رأسى . على كتفى . على صدرى
كانت نظرته فى عينى وصـــوته فى اذنى . أردت أن أراه .
تمنيت أن أقابله . سرت وسط الزحام . نظــــرت الى الارض
شبه مغمضة العينين . من أعماقى ناديته . سرت مرهفة السمع
ربما أسمعه ينادينى . وسمعت صوته . نظرت اليه غير مصدقة
سألنى هل عادة أسير مغمضة العينين ؟ . نظرت اليه ساهمة .
هل هذه هي العلامة . أنه هو ؟!. وكان ذلك اليـــوم الاجازة
نفسه علامة يمكن أن أحدد تاريخى به .

هل لكل انسان آخر يشعربه . يفهمه . يتفاهم معه ويجعل
من حياته معنى . كل ما كان يعذبه من شعور بنقص أو مساوىء



يراها فيه اخرون يجدها هذا الانسان فيه مزايا · هل هذه هي العلامة · انه هو ؟!·

والشفاه منذ تعرف طريق القبلات تلتقى بشفاه كثـــيرة · لكن هناك شفاه بالذات فوقها تجد مكانها · معها تجد بيتها · كانها خلقت خصيصا لتتوافق معها · وشفتاى وجدتا بيتهما ومكانهما مع شفتيه · فهل هذه هى العلامة ؟ أنه هو !

معه أشعر شعورا مختلفا لا اريد أن أحكيه لصـــديقاتى · أحتضنه واجتره وحدى لاستمتع به · ربما لا اريد أن احكى حتى لا أسمع عبارة الباحثة عن المشاكل · ومثل هذه العـلاقة المحاطة بالمشاكل تنتهى سريعا · وتختفى · فلا يوجد أمـــل

أحتضنها قبل أن انام • الى أن تمر فترة الافتتان واثارة المشاعر والثورة على أشياء كثيرة • مثل الحظ والايام وكل هذه المشاجب التي نعلق عليها فشلنا • فشل •• أي فشل اتحدث عنه والحب مازال في اوله • رأيت علاماته • اكتشفتها • شعرت بها • اذا كان هو حقيقه سيكون شيئا جميلا اذا كان هو أيضا قد رأى العلامة وشعر بها • لكن مثل هذا الحب • أظن انه يبدأ فاشلا •

افتقده . عندما يغيب يوما عن العمل . ولا ادرى اين هو . ولا أريد أن أسال العاملين في مكتبه • لا أحب أن يرى احدهم جنون افتقادى له • أفكر احيانا هل اطلبه في بيته وأقـــول لامرأته • أفتقد زوجك • أين هو ؟! • تقتلنى غيرتى • أغار من الليل لانه يضم جسديهما في فراش واحد • أغار من الصـــباح لانه يجعله يرى وجهها قبلى • أحقد على الزمن لانه جعله يقابلها قبل أن يقابلنى • ولا استطيع أن أعيش بهذه المشاعر المدمرة •

سألنى لماذا انت حزينة ؟ قلت لا أحب ان أخذ رجلا لامرأة أخرى • فقال أن زوجته تطلب الانفصال • أعرف أن الرجل المرتبط عندما يحب يقول هذا دائما لحبيبته كنوع من الامل يعطيه لها • ولم اصدقه •

أن الساعات الحلوة التي امضيها معه • تضجرنى • تقلقنى عندما يذهب كأن الحياة تذهب معه • ففكرة الاوقات السعيدة والمذهب الفلسفي اللـــذة التي يعقبها الالم لايناسبانى • ولا أقرهما • لذلك قررت أن ابتعد عنه • بالرغـــم من حنينى • وحبى • والعلامة التي رأيتها • سعيت الى منحة دراسية لى كانت مؤجلة • ووافقوا في العمل على السفر •

السراب • والمرأة الثانية

لا ادرى الى متى سأعيش على سراب دائم •• أصدق وجـــود الواحة وسط صحراء •• أصدق وجود ماء للعطشى •• هـــذا السراب يبهجنى للحظات فقط • اليوم الحلو لحظة وسط أيام طويلة رديئة •• الشهر الحلو لحظة وسط شهور من عذابات • السراب لحظة أمل وسط يأس قاتل •• هـــل اكتفى بسراب

واهم في حياتى ٠٠ أحيانا كثيرة أريد شيئا ملموسا حقيقيا .. فى أوقات حزننا وضيقنا ،من لا يريد صـــدرا حقيقيـــا ليضــع رأسه فوقه ، عندما يأتينى هذا الشـعور ابحث عنه ولا أجده ٠
٠٠ فى عمله فى بيته ٠٠ أمرأته تعرف صوتى ٠ كان يعرفنـا فى وقت واحد ، واختارها هى ٠٠ غضبت منه سنة وعاد الى ٠٠ قال انه أخطأ الاختيار ٠٠ لكن اصبح لديه طفل كان حبـه مازال فى قلبى ففرحت بعودته ٠٠ أمرأته لم تعد تضجر من صوتى ٠٠ كأنها اقتنعت بحياتها هكذا ٠٠ واقتنعت بى فى حياته ٠٠ لكنى لم اعد احتمل هذا الاستمرار معه ٠٠ ربما منذ بدأ ينشغل عنى ٠٠ لابد ان انشغل عنه ٠٠ العمل ٠٠ أهملت عملى وهربت من كل وجه جديد تقرب الى ٠٠ لانتظره ٠٠ لكنه لم يعد يأتى كما كان يأتى دائما ٠٠ يوعـــدنى ولا يحضر ٠٠ واصبحت الاحباطات جزءا من حياتى ٠

أحيانا أسمع عن حكايات اصبح فيها السراب حقـــائق فى حياة بعض الناس ٠٠ اتفاءل واقول لانتظر لابد أن يأتى دورى

لكن عندما ارى الواقع واجد ان هذا يحدث لبعض الناس وأنا لست منهم ٠٠ لا أجد سوى دموعى هى الشىء الملموس الذى امسكه بيدى ٠

ربما هى لحظة ضعف هذه التى يفتح فيها الانسان قلبه لعزيز لديه يقول عن سبب قلقه وأحزانه عن دموعه الصامتة فى وحدة ليلة عن واقعة الذى لم يعد يحتمله . ربما تهتز صورته القوية البراقة فى نظر العزيز لديه .. فيواسيه لحظة .. ثم يصرخ فى وجهى الا اضعف . الصورة التى أحبها فى قوية .

أنا التى احتملت شكوته وآلامه احتملت عذاباته فـــوق عذاباتى . الى ان أصبحت لاأحتمله ولا أتحمل نفسى .

ربما سر تعاسة الانسان أنه ينتظر من الحياة ومن الاخرين اكثر من اللازم .. لكن لم أطلب الكثير كل ما أردته شىء من التوافق مع الحياة ومع انسان بالذات أحبه يعيننى معنـــويا

وماديا .. اذا اهتممت بعملى .. وعملت أوقاتا اضافية لن احتاج له ماديا .. واذا فتحت قلبى للطارق الجديد لن احتاج له عاطفيا ومعنويا .

« لنعدد مزايانا حتى لا نقع فريسة احزاننا » .. هكذا قال السراب .

« لنرضى ونقتنع بالواقع » .. هكذا قال سرابى .

قلت غاضبة — لقد رضيت بواقع أننى المراة الثانية .. لكنى لا استطيع أن ارضى بوجود امراة ثالثة .

— من رايتينى معها زميلة جديدة كنت اوصلها .. انت رفيقة حياتى وملجئى .

قلت ثائرة — وأنت سراب حياتى أريد انسانا حقيقيا .. لم اعد احتمل حياتى معك .

تحققت من وجود المراة الثالثة فى حياته .. وفهمت .. لماذا تغير .. أنا أيضا تغيرت .. الاحباطات غيرتنى .. قتلت فى تلك العاطفة القديمة نحوه قتلت ايضا حيويتى واضعفت نفسيتى وجسدى .. لابد أن انقذ نفسى .. بهذه العاطفة الجديدة التى بدات تداعب قلبى والعمل الجديد الذى أسند الى .

عندما لاحظ عودة قوتى النفسية ولامبالاتى به .. قال أن امرأته تطلب الانفصال .. فضحكت .. ست سنوات سمعت فيها هذا الخبر الكاذب كثيرا .. يقوله من حين لاخر ليعطينى أملا للاستمرار معه .. لكن الان .. حتى وان كان الخبر صحيحا لم اعد أريد الارتباط به .. ربما لانى لم أعد أحبه .. وربما تعاد معى قصة زوجته .. خصوصا ان المراة الثالثة ظهرت فى حياته .

الازمة .. والمراة الاولى

لنحكم العقل قليلا .. الحب لا يستمر بعواطفه الاولى الجميلة يتحول الى صحبة جميله ، أو الى كراهية دميمة ، لكنه لا يستمر كما كان فى أوله .. فى حالات قليلة يبقى .. هذه التى يكون فيها الحب مرتبطا باشياء كثيرة بين الاثنين ، مرتبطا بالعقل والعاطفة والجسد ، والعمل المشترك أو الهوايات

الواحدة . اشياء كثيرة ليستمر الحب او ليتحول الى صحبة جميلة .

وحبنا تحول الى كراهية دميمة . بعد عام من ارتباطنا تحول ... ارتبطنا بعاطفة القلب وشهوة الجسد ولم نلتفت لحياة كل يوم وطبائع كل فرد واختلاف افكارنا واعمالنا وهواياتنا .. قلت ربما الطفل يربطنا .. لكنه زاد من الهوة بيننا .. أصبحت كلماتنا معا قليلة .. واوقات فراغه يمضيها بعيدا .. وعرفت أن له امراة ثانية .. عرفت انه كان يعرفنا فى وقت واحد .. وفضلنى عنها .

اولا ثرت وطلبت الانفصال .. ثم فكرت فيها .. واشفقت عليها اذا كان فضلنى عنها بالارتباط . لماذا أحرمها من مجرد صداقته . وأصبح صوتها مألوفا لاذنى حتى انى فكرت كثيرا ان اصادقها .. لا لابعدها عنه بالطريقة المعروفة للزوجات العاقلات أن يصادقن حبيبة الزوج أو عشيقته فتخجل وتبتعد عنه وربما تصادق زوجته فكرت أن اصادقها فقط لاعرف لماذا استمر حبه لها ست سنوات بينما توقف بالنسبة لى أنا .

حاولت أن اتغاضى عن مسألة الحب واحتمل من اجل الطفل وان كان لم يعد يشعر بوجود والده . حاولت ان اعيد عواطفه الاولى الجملية لى . لكنى فشلت لأنى ايضا فشلت أن اعيدها أنا له . وعندما شعرت انه بدأ يمارس الجنس معى كواجب رفضته واصبح الفراش الواحد مجرد شيء من الاشياء العديدة فى البيت التى نشترك فيها معا . وبدات أشعر أننى أكبر كثيرا من سنى .. وان نفسيتى تشيخ .. وتعترينى حالات من الكابة لااحتملها .

سألنى زميل صديق فى العمل ان احدثه عما فى نفسى لانه يشعر أننى اعيش فى ازمة وربما يستطيع المساعدة .. ارتاح اليه .. فحدثته عن حياتى .. سألنى لماذا أستمر مع شخص لم يعد يحبنى أو يحب بيته وطفله .

قلت له عن مخاوفى من الوحدة ومسئولية الطفل ، فانبنى على استسلامى اليائس .. وقال انه يحبنى من زمن .

طبائعنا متشابهة فى اشياء كثيرة عملنا مشترك .. هواياتنا واحدة ارتاح لصحبته .. اعجب به .. هكذا بدأت ادرسه قبل ان اترك العاطفة تستحوذ على .. سالنى ان اتزوجه .. ومادام يحبنى سيحب طفلى ، وفكرت . لماذا لا . لماذا أستسلم ليأس قاتل ووحدة تلفنى .. وكان لابد أن اصـــارح زوجى واعتقدت أنه سيرحب بالفكرة مادامت له امرأة ثانية .

سألنى ــ لماذا تصرين على الانفصال هذه المرة .

ــ اريد ان اعيش حياتى وهناك آخر يحبنى ويريـــد أن يتزوجنى وأنا أبادله مشاعره .

ثار .. نظرت اليه متعجبة .. لماذا يثور .. لماذا يعيش حياته هو بالحب مع اخرى . بينما انا لم ارد ان أعيش معـــه بالخداع وأنا احب آخر !

وكانت ثورته قبيحة باتهامات باطلة .

سألته متعجبة : اذا كنت تحبنى لهذه الدرجة وتغار على .. لماذا هناك اخرى فى حياتك ؟

ــ هى شىء وانت شىء آخر .

ــ هى انسانة ‥ وانا انسانة واعتقد انهـــا تريدك ان تعيش معها وانا أعطيك الفرصة ليعيش كل منا حياته مع من يحبه ويفضله ‥

ــ أنا لا اريد ان اعيش معها هى بالذات .

ــ لماذا عذبتها باستمرارك معها ؟!

ــ هى ايضا لا تريد ان تعيش معى .

ــ عندما تنضج عواطفك ستفضل ان تعيش حياة واحدة غير مجزءة بين امراتين تظلمهما معا .

ــ وانت هل نضجت عواطفك . ؟

ــ نعم ‥ واشكرك لانك ساعدتنى عـلى نضوجها ‥

احيانا اليأس من حياتنا يجعلنا نفكر بعمق فى جوهر نفوسنا ونتجنب الوقوع فى الخطأ .

ثار . . ولم ارد ان ادخل معه فى تبادل الاتهامات . او فى متاهات مشاجرة وايقنت ان اى عاطفة كانت تربطنى به قد انتهت . اخذت طفلى وحقيبة ملابسى وذهبت الى بيت اهلى وطلبت محامى العائلة .

نجمة ريو

عندما رايته فى قاعة المؤتمرات الكبيرة كان نصف وجهه مختفيا خلف الكاميرا عرفته من ملامح جسده وطريقة ارتدائه لملابسه . قلت الاوربيون يتشابهون فى ملامح ولون الشعر . لكن شعورا غريبا تملكنى انه هو المصـــور الصحفى الذى انقذنى يوما فى مدينة براغ .

كان المؤتمر على وشك ان يبدا والمشتركون من بلاد العالم اخذوا اماكنهم . اقتربت من الرجل وانا فى طريقى الى المكان الذى سأجلس فيه . أبعد الكاميرا عن وجهه . انه هـــو . ابتسمت أحييه . رد تحيتى بابتسامة صغيرة لم يبد عليه انه عرفنى . لم أعرف اسمه . ولم يعرف اســـمى . والوقت لا



يسمح أن أذكره بأحداث تلك الليلة التى مضى عليها سنون ومازلت اتذكرها واتذكره . وأخذت مكانى فى القاعة الكبيرة .

●●●

على نهر « الفولتافا » كنت أسير وحيده . على كوبرى « شارل » العتيق الذى تحيط جانبيه التماثيل . متحف على نهر « الفولتافا » . السائحون يسيرون بتمهل يتفرجون . العشاق يتعانقون . كنت أسير وحيدة أبهر لحظة بفن الفنانين واتذكر لحظة اننى وحيدة تماما وليس لى مكان ابيت فيه الا على مقعد فى محطة القطارات فأرتعب . كانت المدينة مزدحمة وبها هياج غريب . مظاهرة ضد العرب ، ومظاهرة ضد الروس ، ومظاهرة ضد الحكومة .

ومظاهرة ضد المظاهرات الثلاث ومجموعات هائلة من السائحين والمشتركين فى ذلك المؤتمر الذى كان هنـــاك والذى كانت مجموعتنا مشتركة فيه .

مختلطون بهذه الجموع نصحونا الا نسير جماعة من الوجوه العربية حتى لا يظنوا اننا ايضا نقوم بمظاهرة أو يعتدى علينا الموالون لاسرائيل فاتفقنا ان نلتقى فى محطة القطارات لنذهب الى البلد التالية فى رحلتنا ، فضـــلت أن أذهب الى متاحف المدينة بعيدا عن الضجة والمتظاهرين . اخذتنى روعة الفن وبسبب الزحام لم أجد سيارة اجرة .تأخرت فتركتنى مجموعتى والقطار الاخير . سألت عن القطار التالى قالوا فى الصباح . سألت اين امضى الليل . قال الرجل العجوز مواســـيا انه سيضع حقيبتى فى صندوق امانات ويمكننى أن امضى الليل على احد مقاعد استراحة المحطة . وكان نوعا من اليأس البحث عن غرفة فى فندق .

وعلى نهر « الفولتافا » بجانب احد التماثيل وعاشـــقان يتعانقان تملكنى شعور رهيب . مخيف بالوحدة والاغتراب فنزلت دموعى صامتة . وكان على الجانب الاخر من الكوبرى رجل يحمل آلة تصوير ويصور • عبر الطريق وعندما اقترب منى كان وجهه اليفا رأيته فى المؤتمر يصـــور • ســـألنى بالانجليزية اذا كنت اتحدث بها ولما هززت رأسى • نعم •

قال ــ هل يمكنك ان تعدلى من وضع يد هذا التمثال لالتقط له صورة . ابتسمت .

قال ــ رأيتك فى المؤتمر دائمة الابتسام . لماذا الان تبكين ؟. مسحت دموعى وكنت اريـــد ان اتحدث عن المدينة اللعينة الجملية وماذا حدث لى . قال انه ايضا غريب . صافحنى وقال انه وبلده اصدقاء لنـــا • واقترح أن نسير نتفرج على بقية التماثيل قبل ان تغرب الشمس ولنحل مشكلة الليل عندمـــا يأتى الليل . حدثنى عن تاريخ الكوبرى والتماثيل . هدأ قلقى وبدأت وحدتى تذوب فى صحبته . فى نهاية الكوبرى كان مطعم صغير سألنى أن نتناول عشاءنا ودخلناه .

قال ـــ كنت أركز عدستى المقربة على التماثيل ورايتك . على الاصح رأيت الدموع تتلألأ فى عينيك ٠ رأيت حيرة وحزنا ولانى اطوف ببلاد كثيرة وافهم ماذا تعنى الوحدة فتقدمت لك باقتراح تعديل يد التمثال لتبتسمى .

ـــ جذبتك دموعى شفقة على .

ـــ لا . . كانت دموعك تلمع خلال عدستى المقربة مثل نجمة فى السماء . مثل نجمة ريوديجانيرو .

ـــ لاتوجد نجمة بهذا الاسم .

ـــ توجد اغنية بهذا الاسم كنت اعيش فترة فى ريو وسمعتها هناك . كنت احبها . لاادرى ماالذى ذكرنى بها عندما رأيت عينيك .

واخذ يدندن بلحن وكلمات اسبانية .

قلت ـــ كنت خائفة من المظاهرات ضدنا هنا .

قال ـــ صهاينة مجانين . . هياج هذا البلد غير طبيعى وجواسيس اجانب منتشرون .

ـــ كانت الحراسة شديدة على مكان المؤتمر .

ـــ الصهاينة هنا ياعزيزتى كانوا يريدون تخريبه لانكم مشتركون واحسن شىء ان جماعتكم تفرقت .

هززت راسى موافقة . فكرت فى جماعتى ولم اشعر بغضب ان احدا لم ينتظرنى كانوا يدركون معنى التخلف عن القطار الاخير . لاحظ صمتى وقال ببساطه انه يمكنه ان يستضيفنى فى الحجرة التى ينزل فيها فى فندق . لم يسالنى عن رايى فى اقتراحه ولم اساله عن اقتراح آخر . هو ايضا غريب وهذا مايستطيع أن يقدمه لى . حكى عن زياراته لبلاد العالم واختلاف طبائع الناس وحبه للبلاد العربية وأمنيته أن يعيش بها .

اخرجت كيس نقودى وانا اقول له انه ضيفى على العشاء

قال غاضبا انه لن يأخذ ثمن استضافته لى . تاسفت وخرجنا من المطعم . وفى طرقات المدينة المزدحمة وضع ذراعه حول كتفى وقال انه لم ير المدينة على هذه الصورة من قبل وزاد شعورى بالالفة كأنى اعرفه من زمن بعيد . لكن شيئا من القلق اعترانى وانا اصعد معه الى غرفته . ماذا سيصنع هذا المهذب الحنون ! .

كان بالحجرة فراش وكنبه . قال وهو يعطنى « بيجامة » ان الفراش لى . غيرت ملابسى فى الحمام . كان «البنطلون» طويلا مهرولا . ضحك لمنظرى . وضحكت . سألنى لماذا لا اكتفى براس « البيجامة » . ربما اضطربت فقال ضاحكا :

ــ يانجمة ريو انا مصور فنان .

فخلعته . فيض من الحنان غمرنى . من كلماته . من ترحيبه . من رقة معاملته . أردت ان المس وجهه . اشكره اقبله . قال وهو ينظر فى ساعته لابد ان انام . صعدت الى الفراش . جذب الغطاء على . واخذ غطاء آخر . نظرت اليه شاكرة . لمس وجهى وقال : « نامى نوما هادئا يانجمة ريو »

كنت متعبة فلم افتح عينى الا مع ضوء أول النهار . نظرت حيث كان نائما لم اجده وسمعت صوت المياه من الحمام . ازحت ستائر النافذة ونظرت الى البلد الجميل الذى احببته بالرغم من عدم ترحيبه بى . قال مرحا : « هــــل نمت نوما هادئا » . وشكرته . ذهب معى الى محطة القطارات .

سألته ــ الا تريد ان تعرف اسمى .

ــ اسمك . نجمة . نجمة ريو .

قلت ضاحكة ــ وانت اسمك منقذ .. منقذى .

قال ــ سنلتقى يوما . ربما فى بلدك او فى بلدى . لاتقولى وداعا يانجمتى قولى الى اللقاء .

وقبل ان اصعد الى القطار استوقفنى وقال : « هل تعرفين . لك سيقان جميلة » .

اجتاحني حنين الى تلك السنوات المزدهرة بالتجوال والتجربة والمواقف الغريبة .. تألمت من حاضري الذي لا أعرف كيف أعيشه . من خيانة احلامي وبالذات من هذا الحلم الاخير ولفني شعور مخيف بالوحدة حتى خيل الى انني سأبيت على مقعد في محطة قطارات ، فجاءت الدموع الى عيني . في تلك اللحظة كان يقف في الجانب الآخر من قاعة المؤتمرات يلتقط صورا للجانب الذي أجلس فيه ربما نظرت اليه خلال دموعي الحبيسة . وربما التقت نظراته بنظراتي خلال عدسته . أبعد الكاميرا عن وجهه وأبعدت نظراتي عنه . بعد لحظات شعرت بجسد ينحني بجانبي وصوت يهمس بجانب اذني « نجمة ريوديجانيرو » . التفت اليه قلت مبتسمة : « أهلا .. منقذي » .. قال : « سأنتظرك بعد المؤتمر » .

●●●

قال ـ عرفتك من عينيك اللامعتين . رأيتهما خلال عدسة الكاميرا . رأيت لمعتهما مثل لمعة نجمة . تذكرت تلك النجمة التي قابلتها يوما في براغ . نجمة ريو .

ـ لكنني تذكرت أول ان رأيتك .

ـ انت تغيرت ... اصبحت اكثر جمالا .

ـ تجامل .

ـ هل تصدقين .. كلما ذهبت لتصوير مؤتمر ما في بلد من بلاد العالم اتذكرك وابحث عنك خلال عدستي المقربة . ألم تسافري الى مؤتمرات منذ ذلك الحين .

ـ سافرت .. كنت اتذكرك أيضا . ابحث عنك بين حاملي آلات التصوير ..

ـ كان لقاء غريبا .. اثر في . وندمت انني لم اكتب عنوانك .

في صمت الليل هدوئه ونسمات باردة منعشة برائحة مياه نهرنا خيل الى انني اسير معه في طرقات بلاد بعيدة واغان

قديمة حالمة تصدح من كل شىء • من نظرة عينيه • من كلماته • من هذا الاسم الغريب الذى اطلقه على • اردت ان المس وجهه • رأسه وسبقنى تعجبت من هذه الرغبة المتبادلة فى اللمس • ان نلمس وجها او جسدا معينا • وارتاحت رأسى للمسته الحنون •

قال — صباح الخير يا نجمة ريو •• اليوم الجمعة الثالث عشر من الشهر يوم سعيد • الا تعتقدين فى هذا •

— هو يوم سعيد لانك قبلت ان استضيفك فى بيتى الصغير •

— يانجمتى اى عاطفة جميلة هذه التى تحملينها لى ••

— واى شعور جميل هذا الذى تشعرنى به •

هذه اول مرة يخفق فيها قلبى لغريب • دائما اتعامل مع هؤلاء الغرباء الذين اقابلهم بحكم العمل بلا شعور داخلى عميق دائما هناك حواجز وأسوار من الاختلافات لم اشعر بهما معه ، ربما لانه ساعدنى يوما ربما بسبب هذا الشعور العجيب الذى نشعر به مع بعض الناس نادرا ما نلتقى بهم وشعرت به معه •

وفى هذه الليلة الاخيرة هيأت نفسى لقبول ذهابه • بنيت الاسوار والحواجز • حاولت ان اكون محايدة فى عواطفى • ومع ذلك تمنيت ان تتعطل الطائرة • لا تأتى •• او لاترحل • ليبقى يوما • او اياما • وعندما تبادلنا قبلة سلام اخيرة قلت فى محاولة اخفاء مشاعرى •

— على أى نهر سيكون لقاؤنا القادم •

قال — نجمتى • اننا نلتقى بمئات الاشخاص فى هذا العالم نتعرف بهم واحيانا نصادقهم لكن نادرا ما نلتقى بشخص نتوافق معه • اعنى نشعر شعورا معينا تجاهه • اعنى لاينقطع الحديث بينه وبيننا •• من الحمق ان نترك هذا الشخص ونسير •

— لا افهم ماذا تعنى • وهناك اختلافات عميقة • جوهرية بيننا •

– اعرف ، لكني لم اختر دياتني • واعتقد انه جاء الوقت لاختارها . وقد قرأت كل الديانات . وقلت لك يوما انني احب بلادكم واتمنى ان اعيش فيها •• اعتقد ان لقاءنا القادم سيكون بجانب نهركم • اريد ان ابقى بجانبه • وبجانبك ••

– لا أحب احلام اليقظة •

– نجمتي هذا وعد مني وليس حلما اتخيله •

وسار الى الطائرة • وانا مازلت انظر اليه صـــامته •• الكلمات لا استطيع ان اعبر بها التفت الى ملوحـــا •• سرت بخطوات بطيئة • اسرعت • ثم جريت • كأني أطير •

الأيام الجميلة لم تأت بعد

الحياة لم تعد جميلة . كما كانت فى ذلك الوقت البعيد الذى كنا ننتظر فيه بشوق ان يأتى هذا الوقت . قلنا ان الايام الجميلة لم تأت بعد • وانها وعدتنا ان تأتى وكنا ننتظــر • وكانت الحياة جميلة فى ذلك الوقت •

ذهبت مبكرة عن موعدى اول المساء الى ذلك الحى • جلست فى المقهى الذى كان يجمعنا • نحكى عن احداث حاضرنا ونأمل لمستقبلنا • ونقول سنفعل وسنفعل وستكون الحياة جميلـة فيما بعد • نظرت الى ركننا المفضل • تحتله وجـوه جـديدة شابة • غريبة • اكاد اسمع ضحكاتنا من خلال ضحكاتهم • معظم الشلة كانت تسكن هذا الحى • ونحضر اليهم من احياء



كثيرة . ومغامراتنا الصغيرة . كانت الحياة جميلة . لم نكن نشعر بالتعب . ولم يكن العمل يشعرنا بالتعب . كان الامل . يزيل التعب . الامل الذى سيتحقق فى السنين الكثيرة المقبلة. هذه التى وصلنا اليها . حققنا بعض آمالنا . لكن التعب يزيل الامل اذا استسلمنا له .

فى ركننا المفضل شاب طويل الشعر . خطف من يد فتاة مجلة عربية غلافها صورة شبه عارية . فقالت مهددة انها لن تعطيه كتاب « اسرار الجنس » ابتسمت فى داخلى مجموعـــــة تعيش عمرا نعمنا به من قبل لكل بطريقة مختلفة . وآردنا ان تستمر بهجة ذلك العمر . وفى كل فترة من حياتنا مباهجها

الخاصة · لكننا نقول ان ما مضى كان افضل · أو هكذا نظن برومانسية مشاعرنا ·

لم نفكر ان الحياة ستصبح ثقيلة على اكتافنا ويصبح لنـــا صديقات واصدقاء لانعرف عنهم شيئا أو اننا سنشتاق الى لمساتهم الحنونة وكلماتهم الحلوة كما كان يحدث من زمن · كما كانوا يفعلون من زمن احبابنا · لم نفكر اننا سنتمنى يوما ان نرتدى الملابس التى اصبحنا نقدر على شرائها ونختال فيهـا بجوار احبابنا · ونذهب الى تلك الاماكن التى كنا احيـــانا نزورها بملابس نستعيرها من بعضنا . وربما اصبحنا مرهفى الحس . أحيانا ينفجر ضغط مشـــاكلنا الخاصة والعــــامة بالتقائنا · فنجرح او نسىء الى بعضنا البعض · وفي اليوم التالى للقائنا كل منا يطلب الآخر ويعتذر عن تصرف غـــير مقصود · أو كلمة جارحة · ولاننا نعرف بعضـــنا من زمن فلا نغضب من انفجار الضغط · وربما سر حساسيتنا اننا لم ننجز كل الاشياء التى اردنا انجازها · ولم تنجز لنا الحياة ما وعدتنا به ·

وأحيانا يعترينا شعور بالصدمة فنتذكر كل الصدمات التى لقيناها من أحبابنا ومن عملنا . وأحيانا يعترينا القلق وتتجسم لنا كل الاشياء التى تهدد أمن نفوسنا · واحيانا تلفنا الوحدة بردائها الردىء من المخاوف · حتى احلامنا اصبحت فى احيان كثيرة كوابيس ليل · واحيانا نتساءل · هل الاشياء الجميلة لاتأت سوى مرة واحدة فى العمر · فرصة ان تكون محبوبا · صفقة مال · فرصة السفر · فرصة ان تكون سعيدا · فرصة أن تحب · !

لم احتمل ضجة المقهى فقمت · لانتظر صديقتى بجواره · نظرت الى صورتى فى مرآة واجهة محل · وجـــدت نظرتى حزينة . ابسمت . وجدت ابتســـــامتى باهتة . انتبهت الى وجود طفلة بجانبى تراقبنى · رأسها لايعلــــو عن ركبتى · قذرة الثياب · تحمل لعبة من فراء الارنب ولا يبدو من منظر اللعبة انها تدل على اى شىء سوى ان لها رأسا وذيلا · ابتسمت لنظرتها المراقبة . قلت مداعبة .

رفعها ونظر اليها • ضحك ضحكة اجشة وهو يقول ، قطة ٠٠
بس ٠٠ بس ٠٠ بس ٠٠ ، وضعها بجانبه وهو يضحك •
واعادت ضحكته الابتسامة الى شفتى •

ــ ماذا تفعلين هنا •

ــ ابيع قطط •

ــ أين القطط •

ناولتنى هذه القطعة من فراء الارنب الذى لايبدو من شكلها شيء ونظرت الى • كانت نظراتها حزينة ٠٠ اكثر من نظرتى التى رأيتها فى مرآة واجهة المحل .

قالت ــ هل تشترى من قططى •

قلت ساهمة ٠٠ نعم ٠٠ واعطيتها الثمن البسيط الذى طلبته • رأيت على وجهها ابتسامة لكنها لم تبتسم شفتيها لم تنفرجآن بابتسامة ٠٠ أطبقت يدها على النقود • وانا حملت الفراء القذر بين يدى ٠٠

قلت مداعبة ــ لماذا انت واقفة •

ــ انتظر أمى . لتحضر وتعطينى قطة أخرى ابيعها . عندنا قطط كثيرة •

جاءت صديقتى فى سيارة اجرة نظرت الى الطفلة وانا اصعد السيارة اشرت لها مودعة ٠٠ كادت ترفع يدها التى بها النقود لتشير بها ٠٠ ثم انزلتها مسرعة • ورفعت يدها الخالية • لم تشر لى • فقط رفعت يدها •

قالت صديقتى ــ نظرتك حزينة اليوم •

ابتسمت •

قالت ــ ما هذا الفراء القذر •

ــ قطة اشتريتها من صغيرة لتبتسم .

ــ وهل ابتسمت . ؟

ــ لم تعرف • رأسها لايعلو عن ركبتى ونظرتها اكثر حزنا من نظرتى اليوم ٠٠

لمعت عيني بدموع لم احتمل حبسها . او منعهـــــا . او التظاهر انها تراب هاجم العينين .. كنت اريد ا نابكى كل شيء .

قالت ـ اذا تعمقنا فى كثير مما تحمله هذه الارض سنظل نبكى ليلنا ونهارنا لاتفسدى عينيك . هل ستباركى لصديقتنا شقتها الجديدة وانت باكية العينين !
مرت فترة صمت .

قالت ـ هذا الحى يثير ذكرياتنا .
قالت ـ اننا على الاقل .. عرفنا معنى الضحك .
لم أرد .
مرت فترة صمت .. مسحت دموعى وضعت « بودرة » على وجهى .
قالت ـ ماذا ستفعلين بهذا الشيء .
نظرت الى الفراء على حجرى . لحظة لم ادر ماذا افعل به . سالت سائق السيارة .
ـ عندك اطفال .
التفت بلمحة الى وقال مبتسما ـ ثلاثة ..
وضعت قطعة الفراء ذات الرأس والذيل بجانبه .
قلت ـ خذ هذه لهم .
نظر بجانبه . قال ـ ما هذا ؟
ـ قطة .
امسك عجلة القيادة بيد .. وحمل القطة باليد الاخرى ..

طبع بمؤسسة روز اليوسف

رقم الايداع بدار الكتب ـ ٣٨٨٢ / ١٩٧٥